

واقعنا المعاصر والغزو الفكري

الأستاذ الدكتور صالح حسين الرقب
كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية

النسخة المختصرة عن ط ٢٠٢٠ م
المقررة للفصل الثاني ٢٠٢٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

طلابنا الأعزاء :

نظراً للظروف الاستثنائية التي نمر بها جميعاً أضع بين
أيديكم الكتاب المقرر في مساق حاضر العالم الإسلامي بعد
حذف الملغي من مفردات المساق، والهوامش السفلية
وترتيب يسير لبعض المعلومات في الكتاب.
سائلين الله لكم التفوق والنجاح

الفصل الأول

المجتمع الإسلامي والعالم الإسلامي تعريف وخصائص

المطلب الأول

المجتمع الإسلامي تعريف وخصائص

يُطلق مصطلح المجتمع على مجموعة الناس الذين يعيشون على شكل جماعة منظمة، تحكمها مجموعة من القوانين والتشريعات، والأعراف والتقاليد الخاصة، ويشتركون في البقعة الجغرافية. أو هو جماعة من الناس يعيشون معاً في منطقة معينة، وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرها، وشعور بالوحدة كما ينظرون إلى أنفسهم ككيان متميز، ويتضمن المجتمع جميع النظم الاجتماعية الأساسية لمواجهة الحاجات البشرية الأساسية وهو مستقل بمعنى شموله لجميع الأشكال التنظيمية الضرورية لبقائه.

أولاً: تعريف المجتمع الإسلامي:

المجتمع الإسلامي هو: المجتمع الذي يحمل خصائص تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى، بتصوره الخاص وقوانينه الخاصة، ونظامه الذي يستمد أحكامه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وهو المجتمع الذي يشترك أفرادُه بعقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبله واحدة، برغم تعدد الأجناس والأعراق، والأقوام، واختلاف اللغات، والأعراف.

إنَّ الطابع المميز للمجتمع المسلم، أنَّه مجتمع مترابط، متضامن، متماسك، تنضبط مسيرته حياته بأحكام الشريعة الإسلامية، وتصلح أحواله بانتهاجه لمسلكتها القويم، وقد صيغت شخصيته بالتربية الإسلامية، وانطبعت بخصائص هذه التربية. ولا يخدش هذه الصورة للمجتمع المسلم، انحراف بعض أفرادِه عن هذا الخط المستقيم، فالعبرة هنا بالمبادئ العامة، وبالمنهج الثابت الراسخ، الذي هو القاعدة

الذهبية للمجتمع المسلم، الذي تصوغه التعاليم الإسلامية. وليس يعنينا هنا الوضع الراهن في بعض المجتمعات الإسلامية في عالم اليوم، فهو وضعٌ يعاني من خلل منهجي نتيجة ابتعاده عن احترام التعاليم الإسلامية. فنحن هنا إنما نتحدث عن الروح والجوهر، وعن المنهج والمبادئ التي تصنع المجتمع المسلم. وهو المنهج الصالح لكل زمان ومكان.

ثانياً: خصائص المجتمع الإسلامي:

إنَّ المجتمع الذي أقامه المسلمون الأوائل، والذي يسعى المسلمون الصادقون اليوم إلى إقامته وإيجاده يتميز بالخصائص التالية:-

١/ التصور الاعتقادي الصحيح:

إنَّ الإسلام جاء لتصحيح التصورات والاعتقادات، ولتصحيح الأوضاع القائمة ولإبطال مقومات الجاهلية وسماتها، لقد أقام الإسلام المجتمع على تصور سليم، وأسس متينة منبثقة عن التصور الإسلامي لله تعالى، وعلاقته بالكون والإنسان والحياة. ونستطيع القول إنَّ التصور الاعتقادي في المجتمع الإسلامي يقوم على الأسس الثلاثة التالية:-

أ- الاعتقاد بأن الله تعالى وحده لا شريك له: هو الخالق الرازق المحيي المميت، الذي يملك النفع والضرر.

ب- إفراده تعالى بالعبادة والطاعة: من الاستعاذة والرجاء والخوف والرغبة، والإنابة، والحب والتوكل، والاستعانة والاستغاثة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ج- إفراده تعالى بالأسماء الحسنى والصفات العلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

د- الاعتقاد الصحيح بأصول العقيدة الأخرى كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل عليهم السلام واليوم الآخر والقدر.

٢ / الحاكمية لله وحده:

لابدّ أن يكون حكم الله تعالى وحده هو السائد في المجتمع الإسلامي، وإلاّ فالمجتمع جاهلي ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، إنّ سلطة التشريع والحكم لله تعالى، فالحلال ما أحله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والحرام ما كان محرماً في دين الله تعالى، ولا يملك واحد من الناس مهما بلغت مكانته أن يشرّع للناس من تلقاء نفسه وحسب هواه، والمسلمون في المجتمع الإسلامي وظيفتهم تنفيذ حكم الله تعالى في واقع حياتهم كلها، ووظيفة العلماء أن يبينوا للناس حكم الله تعالى، وأن يستنبطوا من كتابه وسنة رسوله أحكاماً لما يستجد من الوقائع والأحداث.

٣ / التجمع على أساس رابطة العقيدة:

لقد جعل الإسلام أصرة التجمع رابطة العقيدة -رابطة الأخوة الإيمانية- لا رابطة التراب والطين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

لقد آخت العقيدة الإسلامية بين الأسود والأبيض، بين العربي والحشي، والرومي والفارسي، وقضت على الفوارق المصطنعة بسبب اللون أو المال أو القومية، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ويقول صلى الله عليه وسلم: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأبيض على اسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، كلكم لأدم، وآدم من تراب)^(١). واقتلع عليه الصلاة والسلام جذور الجاهلية في التعصب، وسدّ كل منافذها فقال: (ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية)^(٢)، وحرّم حمية الجاهلية فقال: (دعوها فإنها منتنة)^(٣). وقال صلى الله عليه وسلم في حق سلمان الفارسي: (سلمان منّا آل البيت).

١- كنز العمال ٢٢/٢.

٢- رواه أبو داود.

٣- رواه البخاري.

٤ / الإنسان له كرامته:

الإنسان في المجتمع الإسلامي له كرامته ومنزلته، حيث كرّمه الله تعالى وفضّله على غيره من المخلوقات، فهو أشرف المخلوقات، لقد كرّمه الله تعالى إذ جعله خليفته على الأرض ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وزوّده الله تعالى بالمؤهلات والخصائص التي من شأنها القيام بحمل الأمانة وأداء المسؤولية على الوجه الذي يريده ويحبه ويرضاه. والمجتمع الإسلامي يخلو من الإنسان السيّد الحاكم المطاع، وبتعبير آخر يخلو من الطغاة، ليس فيه سادة وعبيد، فالكلّ عبيد لله الواحد القهار، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. إنّ الحاكم أو الخليفة عبد لله تعالى كسائر العباد، لا يمتاز عن غيره من أفراد الرعية إلّا بنقل المسؤولية الملقاة عليه، مسؤولية رعاية الناس وفق شرع الله تعالى ومنهجه (كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته).^(١)

٥ / السلوك المستقيم مع شريعة الله تعالى:

المجتمع الإسلامي ينضبط أفراداً في سلوكهم وتصرفاتهم مع شريعة الله تعالى. ذلك أنّ العقيدة المغروسة في وجدانهم جعلتهم يقولون لشرع الله: سمعنا وأطعنا، وتكاد المعاصي والجرائم الخلقية تغيب عن هذا المجتمع، وقد يكون فيه أناس يرتكبون المعاصي من الزنا وشرب الخمر ونحوها، ولكنهم قلة لا يأبه بها أحد، فضلاً من أنّ أحكام الله تعالى تطبق عليهم، وقد يسعى هؤلاء إلى الحاكم المسلم طالبين إيقاع العقوبات المقررة شرعاً في حقهم.

إنّه لما نزلت آيات تحريم الخمر في المدينة أسرع القوم إلى دلق ما عندهم من الخمر في الشوارع، ومن كان بيده قدح ألّقه عن فيه لما سمع منادي رسول الله ينادي بتحريم الخمر، ولما نزلت آيات الحجاب أسرع النساء إلى مروطنهن يصنعن

١ - جزء من حديث شريف رواه البخاري ومسلم.

منها خماراً ساتراً لعوراتهن. إنَّه المجتمع الإسلامي: مجتمع نظيف، ذو سلوك مهذب، وتصرّف منضبط بأحكام الله تعالى.

٦/ مقياس التفاضل في المجتمع الإسلامي هو العلم والتقوى:

إنَّ لكلَّ مجتمع وجماعة مقياس للتفاضل بين الناس، فبعض المجتمعات تعتبر النسب أو القومية، أو اللون، أو السلطة، أو الطبقة الاجتماعية، أو المال، سبباً للاحترام والتفاضل بين الناس. أمّا الإسلام فقد اعتبر العلم والعمل الصالح هما مقياس التفاضل والتكريم، لذلك قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وينبغي أن يكون واضحاً لدينا أنَّ العمل الصالح لا يعني العبادة وحدها، بل يُقصد بالعمل الصالح أيضاً: كلُّ عمل يخدم المجتمع خدمة خيرة، وينفع الناس، كنشر العلم، ومكافحة الفقر، وإنشاء مشاريع البرِّ والإحسان، ومحاربة الفساد السياسي والاجتماعي والأخلاقي.

المطلب الثاني

واقع العالم الإسلامي

مفهوم العالم الإسلامي

نعني بالعالم الإسلامي: الشعوب والدول ذات العقيدة الإسلامية على اختلاف بيئاتها، ومناطقها، وتباين ثقافتها، وتعدّد سلالاتها البشرية.

ويندرج تحت مفهوم العالم الإسلامي أيضاً: الأقليات المسلمة التي تعيش في

دول غير إسلامية، والدول الإسلامية هي الدول التي يغلب على سكانها الإسلام كعقيدة، كأن يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠% من مجموع السكان، وتعد من الدول الإسلامية إن قل عدد المسلمين فيها عن ٥٠% حال أن يكون الحكم فيها للإسلام.

ويفتقرون عدد الدول الإسلامية من وقت لآخر تبعاً للظروف فمثلاً بعد تفكك الاتحاد السوفيتي زاد عدد الدول الإسلامية خمس دول، ومن ذلك أيضاً ظهور جمهورية البوسنة والهرسك في أوروبا، بعد تفكك يوغسلافيا الاتحادية.

أولاً: الواقع الجغرافي للعالم الإسلامي:

يقع العالم الإسلامي في "قلب العالم" ممسكاً بأطرافه، متحكماً في محيطاته وبحاره وخطوط ملاحته، زاخراً بأهم الأنهار، وأخصب الأراضي، وأعظم الثروات، ومدخلا المحيط الهندي في أرض إسلامية - مضيق ملقا في الشرق بين الملايو وسومطرة، ومضيق باب المندب في الغرب -، وبذا يمكن التحكم في الملاحه الدولية بين الشرق والغرب، ومدخلا البحر المتوسط في أرض إسلامية - شرقاً قناة السويس، وغرباً مضيق جبل طارق - . والبحر الأبيض المتوسط كان يوماً كله بحيرة إسلامية، ولا تزال شواطئه الشرقية والجنوبية كذلك، والبحر الأسود والبحر الميت، والبحر الأحمر، كذلك بحيرة إسلامية لولا الكيان الصهيوني، وأنهار النيل، ودجلة والفرات، ونهر السند، ونهر النيجر، وغيرها تجري في بلاد إسلامية.

ويقصد بالعالم الإسلامي -جغرافياً- تلك البقعة المترامية الأطراف، والواقعة بين المحيط الهادي شرقاً، والمحيط الأطلسي والمحيط المتجمد الشمالي شمالاً، والمحيط الهندي جنوباً. بصيغة أخرى: من إندونيسيا شرقاً، إلى موريتانيا غرباً، ومن تترستان شمالاً، إلى جزر القمر جنوباً.

مساحة العالم الإسلامي حوالي (٣٢) مليون كم²، أي ما يقارب ربع مساحة اليابسة البالغة حوالي ١٤٩ مليون كم²، ويطل العالم الإسلامي على أهم البحار والمحيطات والمضايق البحرية، كما تحتضن أراضيها مدخلي المحيط الهندي (مضيق ملقا في الشرق بين ملايو وسومطرة، ومضيق باب المندب في اليمن)، ومدخلي البحر المتوسط (قناة السويس في مصر، ومضيق جبل طارق في المغرب). وعدد سكانه يقرب من (٢ مليار) نسمة، تضم هذه البقعة حوالي (٦٠) دولة مستقلة، ومنطقة خاضعة لحكم دول غير مسلمة، مثل تركستان الشرقية

الخاضعة للصين، وفطاني الخاضعة لتايلند، أو تارتستان الخاضعة لروسيا، أو السنجق المقسومة بين صربيا والجبل الأسود!.

الموارد الطبيعية: ويقصد بها: الموارد التي يتكوّن منها الغلاف الصخري (ويشمل: الثروة المعدنية، والتربة، والمياه الجوفية) أو القشرة الأرضية الصلبة، والمواد التي يتكون منها الغطاء النباتي والحيواني (ويشمل: الثروة النباتية طبيعية كانت أو زراعية، وما يوجد على سطح الأرض من حيوان)، والمواد التي يتألف منها الغلاف المائي (ويشمل: الكائنات البحرية الحية ومنها الأسماك، وكذلك الأملاح المعدنية التي يستخلص منها بعض المعادن) والغلاف الهوائي، ويقصد به: عناصر المناخ اللازمة للإنتاج مثل: الحرارة والضوء والأمطار.

ولا تعد هذه الموارد اقتصادية حتى تستغلّ، أو يعرف الإنسان كيف يستغلّها؛ فالفحم، والبترو، والطاقة الشمسية، وغير ذلك، كلّ منها لم يكن موردًا اقتصاديًا، أو موردًا للثروة قبل أن يكتشف كيفية استغلاله.

إنّ البترول: وهو المصدر الأول للطاقة اليوم تنتج منه البلاد الإسلامية ٣٠,٦% من جملة الإنتاج العالمي، تليها الولايات المتحدة "٢٩,٦%"، أمّا احتياطي العالم الإسلامي فهو ٦٩,٣% من جملة الاحتياطي العالم، فلو أضفنا إلى ما تصر الشركات الأمريكية والأجنبية على عدم كشفه إلّا في الوقت المناسب -لها طبعًا- لارتفع إنتاج البلاد الإسلامية، ولارتفع احتياطها كذلك.

ويكتفي أن يُعلم أنّ مصر تسبح في بحيرة من البترول، حيث يوجد البترول على يمينها وعلى شمالها، لولا إصرار الشركات الأمريكية والأجنبية - الآخذة امتياز التنقيب عن البترول - عدم الكشف عنه إلا بقدر!.

ثانيًا: الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي:

إنّ اقتصاد العالم الإسلامي رغم موارده المتعددة والغنية، واقعه الحالي أليم ومحرزن؛ فالدخل القومي في أكثر الدول الإسلامية يضع الفرد المسلم في أقل من مستوى شعوب العالم معيشياً، والواقع المشاهد يؤكد لغة الأرقام، وتزيد معظم الأنظمة

الشعوب الإسلامية ضيقاً وضنكاً، فصارت الشعوب تصطف طوابير، وتقضي فيها نصف يومها بحثاً عن حاجياته، وأحياناً ضروراته. هذا إن وجد في جيب المواطن الثمن أو التكاليف، والإنتاج القومي هو الآخر سيئ، والبلاد الإسلامية تتوزع بين أن تكون مزرعة تستجلب منها القوى العالمية موادها الأولية، أو أن تكون سوقاً استهلاكية توزع القوى العالمية سلعها أو تجارتها! وهي بالتالي محرمة من الصناعات الثقيلة، والإنتاج الكبير.

إنّ درجة الابتعاد عن النظام الاقتصادي المالي الإسلامي تتفاوت بين الأنظمة الإسلامية المختلفة، ابتداءً من مخالفة أمر الله تعالى بترك الربا وطرق الكسب الحرام، وانتهاءً إلى الخروج التام عن النظام الإسلامي الذي كفل ملكية متوازنة، هي وسط بين الرأسمالية الطاغية والشيوعية الجائرة، وكفل حرية اقتصادية متوازنة بين المذهب الفردي الذي يطلق إلى حد الخنق أو الاختناق، والذي يرفض الترف، وتنتفي فيه الندرة مشكلة المشاكل في الأنظمة الاقتصادية، نعم تنتفي الندرة انتفاءً إيمانياً باعتقاد قدرة الله على رزق كل مخلوق، كما تنتفي انتفاءً مادياً بتحقيق التكامل بين بلاد الإسلام زراعياً وصناعياً وتجاريّاً.

مستقبل الاقتصاد الإسلامي:

إنّ الاقتصاد الإسلامي كنظام هو الأمثل بين النظامين الرئيسيين: الرأسمالي والاشتراكي. ومن يدرس الاقتصاد الإسلامي يجب أن يلاحظ أنه:
أولاً: جزء من كل: بمعنى ارتباط الاقتصاد الإسلامي بمفاهيم وعقائد ونظم الإسلام، وعدم إمكان دراسته وتطبيقه بمعزل عنها.

ثانياً: اقتصاد أخلاقي، وواقعي في غاياته، وفي طرقه كذلك.

ثالثاً: اقتصاد متميز عن المذاهب الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية، وهو مخالف لها في أساسها النظري، مخالف لها في أساليبه، مخالف لها في غاياته، وإن تشابهت

بعض التفصيلات بين النظام الإسلامي وإحدى هذه النظم ليس إلا من قبيل تشابه عيون شخصين مثلاً دون أن تربطهما رابطة دم أو جنس. رابعاً: لا يسمح بأي شكل من أشكال الاستغلال والاحتكار.

خامساً: يحقق الحد المتوازن من الحياة الكريمة لكل فرد، دون أن يضع عائفاً دون الارتفاع إلى آفاق عليا، دون ظلم أو استغلال.

سادساً: يضع على عاتق مسؤولي الدولة إتاحة فرص العمل لكل قادر، وتوفير الحاجة لكل محتاج، حتى لا يبقى فقير أو عاطل في المجتمع الإسلامي، دون النظر إلى دينه أو جنسيته.

سابعاً: اقتصاد مخطط، بمعنى أنه يجعل للدولة الإشراف المركزي على الإنتاج والتوزيع.

وكواقع فإن الاقتصاد الإسلامي: يمكن أن يطبق فتتحقق له من الموارد والقدرات في البلاد الإسلامية ما لا يتحقق لاقتصاد آخر، فالموارد الزراعية والصناعية في المنطقة الإسلامية أغنى من أي منطقة أخرى، واليد العاملة متوافرة ورخيصة، وهي في نفس الوقت إن تحقّق فيها الإسلام كانت أفضل الأيدي إتقاناً وأكثرها أمانة!.

ورأس المال المتوفّر لدى الدول الغنية يكفي لإمداد أي مشروع، ولا يلزم إلا أن تتحقق "الأمة الإسلامية الواحدة"؛ لتكون بإذن الله تعالى أغنى أمة اقتصادياً، كما هي خير أمة كما أخبر الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [آل عمران: ١١٠] ويومها يمكن للعالم الإسلامي أن يكون أقوى القوى الاقتصادية العالمية، بل يمكنه أن يتحكّم في الاقتصاد العالمي عن طريق صناعاته وأسواقه ورأس ماله، وموقعه الاستراتيجي، وتقل شعبه وأمتة!!

ثالثاً: الواقع السياسي للعالم الإسلامي:

لقد استبشر المسلمون في أواسط القرن العشرين بتحرر بلادهم من الاستعمار العسكري الأجنبي، وزادت بشراهم أن أحسّوا فترة أنهم -وبخاصة في المنطقة العربية- صاروا يشكلون ثقلاً دولياً، بالغ البعض إذ اعتبره القوة السادسة الدولية بعد

الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، والصين، واليابان، وأوروبا. ونسي الكثيرون حادثاً أليماً وقع في مطلع هذا القرن، وحيكت من أجله المؤتمرات الدولية، وانعقد في سبيله الكثير من المؤتمرات السياسية العالمية، نسوا حادث إلغاء الخلافة الإسلامية، التي وإن بدت ضعيفة في أواخر أيامها، لكنها كانت تجمع شمل المسلمين، وترهب عدو الله وعدوهم.

كذلك لم يفتن الكثيرون إلى أنَّ الاستعمار العسكري حين رحل عن بلاد المسلمين لم يتركها بغير نفوذ له، بل إنَّه خَلَف وراءه من كانوا أشدَّ منه على الشعوب ظلمًا وعتوًّا، وإن تَخَفُّوا وراء شعارات وأردية وأقنعة أخفت حقائقهم عن الشعوب ولا تزال، وأخيرًا فلقد بعدت الأنظمة الحاكمة عن جوهر النظام السياسي الإسلامي كما أَرادَه ربُّ العالمين في كتابه وسنة رسوله، معلنين ذلك صراحة، أو مخفين ذلك وراء شعارات الإيمان والإسلام؛ ليتأكَّد فيهم قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨-٩].

فهذه أمور ثلاثة نتناولها - بمشيئة الله تعالى - في الحديث عن واقع العالم الإسلامي السياسي: غيبة الخلافة الإسلامية والبعد عن جوهر النظام السياسي الإسلامي، والاستعمار الجديد، والحروب الصليبية الجديدة.

أولاً: غيبة الخلافة الإسلامية:

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لبحثوا مَنْ يكون إليه الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتسامع النَّاس أنَّ الأنصار يرون الأمر فيهم، وسارع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لحسم الخلاف، وتأخَّر دفن الجثمان الطاهر - وهو عليهم جَدُّ عزيز - حتى انتهوا من أمر الخلافة، وكان اجتماع المسلمين، وفي مقدمتهم كبار الصحابة، على ذلك النحو إجماعاً على وجوب الخلافة.

ولفقه أدركه السلف الصالح سمّوا الخلافة الإمامة العظمى بالقياس إلى الإمامة الصغرى إمامة الصلاة، ليتأكّد بذلك وجوبها، وليتأكّد مكانها بين سائر الواجبات.

وعرّف الفقهاء بأنّها خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وأضاف البعض في نهاية العبارة لفظ "به" لتتأكّد وظيفة الخلافة الرئيسيتان: حراسة الدين، وسياسة الدنيا بهذا الدين.

قال الإمام الماوردي في تعريف الخلافة: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

وقال السعد التفتازاني في المقاصد، الإمامة هي: رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا، خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وظلّت خلافة الإسلام تُظَلُّ المسلمين أكثر من ألف عام، تقيم شرع الله وهو أوّل الواجبات وأعلى الضرورات، وتجمع شمل المسلمين وهو كذلك من الواجبات والضرورات، صحيح أنّه أصابها في فترات عديدة ضعف أو انحراف، لكنها بقيت رمزاً للأمرين: إقامة شرع الله عز وجل، وجمع شمل المسلمين.

وبقي إصلاحها بين الحين والحين رهيناً بالصحوّة الإسلامية، وبأنّ يقبّض الله تعالى للأمة من يلي أمرها ممّن يقدرها حتّى قدرها، وبقاء الشيء ولو ضعيفاً على احتمال قوته وصلاحه خير بلا شكّ من القضاء عليه، ولم يقل أحد: إنّ حلّ مشكلة المرض تكون بقتل المريض والقضاء عليه، وما ينبغي لعاقل أن يقول ذلك وما يستطيع.

لكنّ حين آلت الخلافة إلى آل عثمان - الأتراك - حملوها أكثر من خمسمائة عام، وطرقوا بها أبواب فيينا، وأرهبوا اعداء الله تعالى في الشرق والغرب، تجمّع عليها الأعداء وتأمروا، وراحوا يبحثون في أوروبا ما سمي وقتها ب"المسألة

الشرقية"^(١)، وكانت تعني -حينئذ- كيف يوقفوا المدَّ الإسلامي عن اجتياح ما بقي من أوروبا، فلمَّا وهنت قوة الدولة العثمانية طمع الأعداء، فانتقلوا في بحث "المسألة الشرقية" إلى كيف يقضون على "الرجل المريض"^(٢)، ومَرَّ حادث إسقاط الخلافة الإسلامية بغير ردِّ الفعل الواجب.

صحيح أنَّ إخواننا مسلمي الهند حملوا وهم فقراء ما يملكون، إلى مَنْ قارف جريمة الإسقاط، وصحيح أن إخواننا في مصر تنادوا بقيام الخلافة ولو في غير تركيا، وأصدر العلماء بيانًا بذلك، لكنَّهم حين اجتمعوا لبحث الأمر انفضَّ المؤتمر بغير قرار، رغم رغبة الملك القائم في الوصول إلى قرار ظنَّ أنه سيكون هو الخليفة، لكن الاحتلال البريطاني الذي كان قائمًا في مصر متحكمًا فيها هو الذي حال دون صدور هذا القرار، ولم يعد من ردِّ فعل بعد ذلك غير قصائد الرثاء، وما هطل بعد ذلك من دموع المسلمين.

آثار غيبة الخلافة في واقعنا السياسي:

- ١- لقد غابت الدولة الإسلامية الحاكمة بشرع الله تعالى.
- ٢- غابت الدولة التي تظل المسلمين وتجمع شملهم في وحدة حقة قائمة على وحدة العقيدة.
- ٣- غابت الدولة التي كانت ترهب عدو الله وعدوهم، وكانت القوى العالمية تحسب له ألف حسابٍ، حتى بعد ضعفها ومرضاها.

١- المسألة الشرقية: هي مسألة وجود العثمانيين المسلمين في أوروبا، وطردهم منها واستعادة القسطنطينية من العثمانيين بعد سقوطها في ١٤٥٣م، وتهديد مصالح الدول الأوروبية في هذه المنطقة. كما يدلُّ المصطلح على تصفية أملاك رجل أوروبا المريض في البلقان من طرف الدول الأوروبية.

٢- الرجل المريض: هو اللقب الذي اشتهرت به الدولة العثمانية منذ منتصف القرن التاسع عشر. ويرجع سبب ذلك إلى الهزائم التي تكبدتها الدولة العثمانية من الدول الأوروبية، وأفقدتها الكثير من أراضيها، فذهبت مهابتها ومكانتها بين الدول، وأخذت الدول الأوروبية تخطط فيما بينها لاقتسام أملاكها الممتدة على ثلاث قارات.

٤- غابت الدولة التي عرف اليهود وتأكدوا أنه لا سبيل لهم إلى استعمار فلسطين إلا بتحطيمها، وهو ما صرَّح به سرجي نيلوس العالم الروسي - الذي نشر بروتوكولات حكماء صهيون- قبل قيامها بحوالي خمسين سنة، حين قال: "إن الأفعى اليهودية لا بُدَّ أن تمرَّ بالآستانة في طريقها إلى فلسطين". وتحدث عنها بإسهاب هيرتزل- أحد كبار الحركة الصهيونية وصاحب مشروع الدولة اليهودية- في كتاب أصدره عام ١٨٩٦م، وحمل عنوان "الدولة اليهودية" بسط فيه أفكاراً عملية فعالة سيكون لها إسهامها الكبير في إنجاح المشروع لاحقاً، وقد تمَّ في غيبة مفرطة من زعامات العالم الإسلامي وقتئذ. وتمحورت هذه الأفكار حول تهجير اليهود إلى فلسطين، والتعبئة من أجل القضية اليهودية عبر العالم، ثمَّ تجنيد الأوساط اليهودية خلف فكرة الدولة اليهودية التي لم تكن ذات أهمية يومئذ لدى فئات واسعة من اليهود.

بعد سقوط الخلافة:

بعد إسقاط الخلافة الإسلامية توزَّعت أسلاب الرجل المريض بين دول الاستعمار، فأخذت فرنسا سوريا ولبنان، وأخذت بريطانيا فلسطين والعراق، وتمَّ كل ذلك ليجري التمهيد لقيام دولة إسرائيل على ما سنفصِّل في مكان آخر. ولمَّا ارتأت الصهيونية والصليبية أن ترحل جنود الاحتلال الغربي الأجنبي، أحلَّت محلها من يقوم بنفس الدور، بغير خسائر للأجنبي، وبأداءٍ أفضل من أداء الاحتلال الأجنبي نفسه.

أهم عناصر القوة والضعف في العالم الإسلامي:

١- أهم عناصر القوة:

أ- الدين الإسلامي: وهو الأهم من بين العناصر، فالإسلام دين طبيعته القوة، والوحدة، والعلم والحضارة، والإسلام هو منبع النور الذي لا يخفت، وتبقى المسألة

في مدى نجاحنا وقدرتنا في الاستمداد من هذا النور. ومن ذلك: وحدة العقيدة والمبادئ: وهي تقوم على تصور واحد للوجود والكون، وتوجز في عبارة جامعة هي "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ويتفرع عن هذه العقيدة مبادئ ومفاهيم وأفكار وعواطف، وتتولد عنها نتائج مهمة كان ولا يزال لها أثر في مجرى تاريخ الشعوب الإسلامية وفي حياتها.

ب- **الكثرة العددية**، فهذا العدد لا يهزم من قلة بعون الله تعالى.

ج- **الموقع الاستراتيجي**، فعالمننا الإسلامي يتمدد في ثلاث قارات، ويطل على أربع محيطات، ويتحكم من المفترض في سبعة ممرات حيوية، هي قناة السويس، ومضائق البوسفور، والدرديل، وجبل طارق، وباب المندب، وهرمز، وملقا.

د- **الثروات الهائلة** من: نفط وغاز ومعادن، وزراعة، وغابات ومياه.

هـ- **الحركات والجماعات والتجمعات الإسلامية**، التي غطت النقص الناتج عن عدم قيام الحكومات بدورها الإسلامي المنشود.

و- **التراث التاريخي** الذي يشكل مادة فاعلة للتطلع للوحدة الإسلامية مستقبلاً، بناء على الفترات التاريخية التي جمعت بين المسلمين في إطار سياسي واحد (الخلافة). ومن ذلك: وحدة الثقافة: ويشترك المسلمون في عناصر هذه الثقافة الإسلامية الواحدة وأصولها وعناصرها، فهم يدرسون القرآن الكريم، والحديث الشريف، والعقيدة، وأحكام العبادات والمعاملات، والأخلاق، وسائر تعاليم الإسلام، كما يقرءون كثيراً من آثار الفكر الإسلامي في مختلف الميادين والعصور في الأدب والتاريخ، وتراجم الرجال، وسائر جوانب الثقافة الإسلامية.

ز- **الروابط المشتركة التي تجمع أفراد الأمة الإسلامية**: لقد وحد الإسلام بين المسلمين على اختلاف عناصرهم وأجناسهم وبيئاتهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم، وأقام هذه الوحدة على أسس بينة وقواعد راسخة لا يتسرب إليها الضعف، ولا يتسلل

إلى بنيتها التفسخ والانحلال. قال صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً".^(١)

٢- أهم عناصر الضعف:

أ- ضعف الالتزام بالدين الإسلامي الحنيف: هذا الضعف ينسحب بالضرورة على سائر المجالات الأخرى، ذلك أنَّ الإسلام هو المصدر الأول الملهم للنجاح والتفوق، والقوة والعلم.

ب- معاناة النظم الحاكمة من شتى صنوف الضعف: منها الاقتصادي، والفساد المالي والسياسي، والتبعية للخارج.

ج- التخلف العلمي والتكنولوجي: مقارنة بأمريكا وأوروبا واليابان، بل مقارنة بكثير من دول العالم الثالث كالهند والبرازيل.

د- كثرة القلاقل والفتن والتحزبات، التي مزقت المجتمعات الإسلامية شر تمزيق. ويقوم الأعداء بدور فعال في بقاء واستمرار هذه الفتن.

هـ- وجود بعض الأقليات التي تعمل كطابور خامس لتفتيت الصف وخدمة الخصم الخارجي.

و- تقصير بعض التجمعات الإسلامية في أداء واجبها الدعوة، ونصرة رسالة الإسلام، وخلطها بين الغث والسمين، وإضاعتها لأوليات قضاياها.

ز- فقدان الوحدة بين أقطار الإسلام بإسقاط وحدة العقيدة والمبدأ من حساباتها، وانعدام هذا التعاون في معظم الحالات. فأصبحت هذه الأقطار تعاني ما تعاني من المحن والمصائب بمفردها.

١- رواه أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، (٣/ ١٢٩) برقم: (٢٤٤٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ١٩٩٩)، برقم: (٢٥٨٥).

ح- تمزق العالم الإسلامي بين التكتلات والأحلاف الدولية المعاصرة. بينما تتكالب القوى المضادة متعاونة متعاظمة تشدها إلى بعضها وحدة المصلحة في ضرب الإسلام وتفريق كلمته وابتزاز موارده وطاقاته.

ط- الجهل بالإسلام وعقائده وأحكامه في كثير من بلاد الإسلام، وانتشار البدع والخرافات والمذاهب الباطلة كالقاديانية والبهائية، وانتشار الأفكار العلمانية المتطرفة والتكفيرية الغالية.

ك- الهزيمة النفسية لدى بعض المسلمين، واهتزاز الثوابت لديهم، ونشوء طبقة من المثقفين المستغربين المنبهرين بالغرب وثقافته.

ل- إبعاد الإسلام عن المعركة: وذلك أنَّ الإسلام كان الخطر الأول عليهم في المعركة، لأمرين اثنين: أولهما: لما يحمله لأبنائه من عقيدة تؤثر الموت في سبيل الله على الحياة، في ظلَّ عبودية تفرضها أمر الإسلام: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وثانيهما: لما يحمله دخول الإسلام المعركة من دخول ثقل بشري لا قبل لليهود به، ونعني به الأمة الإسلامية التي تزيد اليوم على أكثر من اثنان ونصف مليار من البشر.^(١) ثالثاً: ما يحمله دخول الإسلام من ثقلٍ سياسي واقتصادي لا قبل لليهود بمواجهته؛ فمصالح أصدقاء الكيان الصهيوني أكثرها في أمم الإسلام، واحتياجات مناصري اليهود الاقتصادي أكثرها في قبضة المسلمين.

عوامل وحدة العالم الإسلامي:

١- العامل العقدي: وهي الرابطة والوشيجة الإيمانية بين كل المسلمين من الشرق إلى الغرب، فالمسلم أخو المسلم، والعقيدة هي رابطة الوحدة المشتركة بين أفراد الدين الواحد، والروح السارية فيهم، ولذلك كانت الأخوة الدينية بين المسلمين هي أصدق تعبير عن هذه الوحدة المشتركة التي قررها القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّمَا

٢- حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة: د. جميل عبد الله محمد المصري ٢٧٨/١.

المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات: ٨]، وكذلك قررها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم".

٢ - وحدة التشريع: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ١٨]. فالشريعة تشمل: الفرائض والأوامر والنواهي والحدود، وكل من شرعه الله مما فيه تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. إن من الأسباب الرئيسية لتمزق الأمة الإسلامية تعدد التشريعات وتنوعها، فالتشريعات الوضعية المستوردة من الخارج لا صلة لها بالأمة المسلمة ولا علاقة لها بدينها، بل هي مضادة لدينها محاربة لعقيدها، فوقعت الفجوة بسم التشريعات والواقع وبين القيادات والشعوب، بل بين القيادات أنفسها، فانعكست تلك الخلافات على الأمة الإسلامية. وما لم يوحد التشريع الذي يحكم الأمة فيكون تشريعاً مستمداً من دينها القويم فإن كل محاولة لوحدة الأمة أو لجمع شتاتها فإنها محاولة فاشلة، فإنه ليس هناك مكان لتشريعات أخرى في المجتمع الإسلامي وليس لأحد من البشر حق وضع تشريع يحكم الحياة في المجتمع الإسلامي، فالحق لله عز وجل وحده، وليس لأحد من خلقه أن يتلقى تشريعاته من غيره سبحانه. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٣ - وحدة الغاية: إن لهذا الإنسان الذي يعيش على ظهر هذه الأرض: غاية يؤدّيها أثناء وجوده إذا عرفها وتمثلها في حياته سعد في دنياه وآخرته، وإذا جهلها أو أعرض عنها فإنه يشقى في الدنيا والآخرة. هذه الغاية حددها الله عز وجل بنفسه وبينها في كتبه، فمن أجلها خلق الإنسان، ألا وهي: عبادة الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والمسلمون ولله الحمد يدركون هذه الغاية ويعرفونها، ولكنهم فرطوا في القيام بها والعمل بمقتضاها، ممّا كان له أسوأ الأثر في حياتهم. فلا بد من العودة الصادقة

إلى تحقيق هذه الغاية والالتزام بمقتضياتها، ليحقق المسلمون لأنفسهم السعادة في الدنيا والآخرة.

ولكن في واقعنا المعاصر - مع الأسف - تعددت الغايات وتتنوع، وهذا فتت الأمة وشتت كلمة المسلمين، وجعل كل فئة من الأمة لها غاية تخالف غاية الفئة الأخرى، تسعى لتحقيقها والوصول إليها، فهناك غاية اقتصادية، وغاية سياسية، وغاية شهبانية.. وهكذا غايات متعددة تنتهي بهم إلى فئات متصارعة وسبل متفرقة، قال عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]..

٤- **العامل الجغرافي:** معظم دول العالم الإسلامي تقع في قارتي آسيا وإفريقيا، ويبلغ عددها (٥٧) دولة، أراضيها متصلة بعضها ببعض، وهناك تواصل رحمي بين سكان هذه الدول، التي فصلتها أيادي الاستعمار بالحدود المصطنعة، والشعور الشعبي تجاه الوحدة الإسلامية كبير وغامر رغم السلبات التي صنعتها الحكومات، فالعامل الجغرافي يدعم الوحدة المنشودة بصيغة عملية ممكنة لمواجهة التكتلات العالمية.

٥- **التاريخ والتراث:** فالأمة الإسلامية لها تاريخ مشترك، وتراث اشتركت فيه كل القوميات الموجودة في العالم الإسلامي، فبنوا صرح الحضارة الإسلامية متعاونين ومكتاتفين، ولكل جهد مقدر في بناء هذه الحضارة الكبيرة.

٦- **منطق العصر:** منطق العصر الحاضر هو الوحدة والتوحد، وغض الطرف عن الماضي بجراحاته وآلامه التي من الصعب أن تنسى، ولكن منطق المصلحة المشتركة يفرض على الجميع هذه الوحدة دون الالتفات إلى الماضي، لمواكبة متغيرات العصر في كل نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

٧- **المصالح المشتركة:** فالمصلحة العليا للدول الإسلامية قاطبة مشتركة، وهي انتشار الثقافة الإسلامية، وأسلمة المؤسسات والدوائر الرسمية، وهذا واجب شرعي على عاتق الجميع، ولا بد من تجسيده على أرض الواقع، وماضي العالم الإسلامي

خير شاهد على ما نقول، ودولنا في العالم الإسلامي تحتاج إلى حملة تصلح كل ما أفسده الزمن، وتعرف المسلمين بدينهم الصحيح، بعد أن أصابهم الجهل المركب.

٨- **العدو المشترك:** ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، هذا كلام خالق الخلق، العارف بمكونات النفس البشرية، فاليهود والنصارى رغم صراعاتهم الدموي الطويل، واتهام النصارى لليهود بقتل عيسى عليه السلام لكنهم في العصر الحاضر أدركوا ما يهدد وجودهم، كما أدركها سلفهم مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث جمعوا الأحزاب لاستئصال شأفة المسلمين، ولكن خاب ظنهم وفألهم، وأيد الله جنده بنصر من عنده.

ثانياً: البعد عن جوهر النظام الإسلامي السياسي:

لا يمكن للقوى المعادية بعد كل ما بذلت أن تسمح بقيام النظام الإسلامي السياسي لا داخلياً ولا خارجياً؛ لأنها إن سمحت كانت كمن نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، أو كانت كمن بنى لنفسه بيتاً ثم راح يهدمه بغير سبب وبغير بديل، ولا يتصور ذلك من عاقل، ولا ينبغي أن نهون من ذكاء عدونا.

قد يقال: إن ما يهم العدو هو ألا يقوم نظام إسلامي يتخذ المنهج الإسلامي في سياسته الخارجية، وبالتالي فإنه قام نظام يتخذ المنهج الإسلامي في سياسته الداخلية فلا شيء في ذلك، ولا تتدخل القوى الدولية فيه؛ لأن ذلك تدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى لا يجوز دولياً، وكل هذا صحيح إذا لم يكن الأمر متعلقاً بالإسلام.

إنَّ بين جميع القوى المعادية توافقاً بل اتفاقاً على ألا تقوم للإسلام دولة، سواء طبقت الإسلام في حدودها الداخلية، أو جاوزت ذلك لتطبقه كذلك خارج حدودها.

وما كان الغرب الصليبي ومن ورائه الصهيونية ليضيع جهوده وأمواله وأرواحه التي بذلها ابتداء ليوقف الزحف الإسلامي، ثم ليقضي على دولة الإسلام التي أسماها "الرجل المريض"، ثم ليوزع تركة ذلك الرجل المريض.

وما كان ليُضَيِّعَ تلك الجهود بالسماح مرة أخرى بقيام دولة الإسلام؛ لأنها إن قامت داخل حدودها، فإنهم يعلمون أن المارد لن يظلّ طويلاً داخل القمقم، ومن ثمّ فإنهم يحاربون أيّ قيام لدولة الإسلام. ويحرّمون ويحاربون أية خطوات تؤدي إلى ذلك، ولو كانت في صورة تضامن أو جامعة إسلامية، أو تطبيق جدّي للشرعية الإسلامية، أو جماعة يتعاضم أمرها وتتذر بقيام دولة إسلامية.

والبعد عن النظام الإسلامي يتخذ صوراً عديدة، منها:

- ١/ **عدم التطبيق للشرعية الإسلامية، أو صورة التطبيق الجزئي لها:**
وهذه الصورة قد يُكَنَّفَى معها بشعار العلم والإيمان، أو غيره من الشعارات الإسلامية، والصورة الثانية قد يُكَنَّفَى معها بالتطبيق في مجال الأحوال الشخصية، أو في بعض الحدود التي يجري فيها التطبيق على الضعيف دون الشريف، مع ترك التعليم والإعلام والمجتمع بعيداً عن عقيدة الإسلام وخلقه وسائر تعاليمه وأحكامه.
- ٢/ **البعد بالأمة عن أن تكون أمة الإسلام:** في وحدتها: «وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً». أو في استمساكها «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ». ومن ثمّ رأينا الفرق أو المزق تزعم لنفسها الشرعية، وتدّعي لنفسها الإسلام.
- ٣/ **البعد بالسلطة عن شرعية الإسلام:** وأهمّها رضا المسلمين بها أيّاً كانت صورة الرضا، وقبلها إقامتها لشرعية الإسلام.

الأقليات المسلمة في العالم:

تذكر الإحصاءات العالمية لا سيما الأمم المتحدة أن تعداد الأقليات المسلمة في العالم تبلغ نحواً من ٥٠٠ مليون مسلم، ويشكلون بذلك نحو ربع عدد المسلمين في العالم. وتشمل مطالب الأقليات عادة المساواة مع الأغلبية في الحقوق المدنية والسياسية، مع الاعتراف لها بحق الاختلاف والتميز في مجال الاعتقاد والقيم.

المراد بالأقليات المسلمة:

الأقليّة مصطلح سياسي، يُقصد به في العرف الدولي:

مجموعة أو فئات من رعايا دولة من الدول، تنتمي من حيث العرق أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه الأغلبية.

والأقلية المسلمة اصطلاحاً هي: "جماعة إسلامية تشكل العدد الأقل من مجموع السكان، والتي تخضع لمعاملة مختلفة، وذلك نتيجة خصائصها المختلفة". أو "هي مجموعة من المسلمين تعيش تحت سلطات دولة غير مسلمة، وفي وسط أغلبية غير مسلمة". أي أنها تعيش في مجتمع لا يكون فيه الإسلام الدين السائد، أو الثقافة الغالبة، ومن ثم لا يحظى فيه الإسلام بمؤثرات إيجابية تساعد على ازدهار مثله ومبادئه، بل على العكس قد يجد فيه من العراقيين الكثير مما قد يقعد به وبأهله، ولا يساعد على تحقيق هويتهم الإسلامية، وقد يعاني المسلمون في حالات كثيرة من جهود ترمي إلى علمنتهم، وإبعادهم عن مثلهم الدينية، وإدماجهم في ثقافة المجتمع الغالبة.

الواقع المعاصر للأقليات الإسلامية:

تتشترك الأقليات المسلمة في جوهر واحد، وهو تعرض العقيدة والقيم والسلوك والشخصية والنسق المعرفي الخاص بها لتحديات أو تهديدات مبعثها الإطار المحيط غير المسلم. ومن ثم فهي تواجه مشكلات في المجالات المختلفة. ولكن تختلف بالطبع من إقليم إلى آخر درجة هذه التهديدات، وتأثيراتها على الشخصية المسلمة؛ فقد تصيبها بالضرر أو التشويه، وقد تحول بينها وبين التأصيل السليم، أو قد تؤدي بها تمامًا، بحيث لا يصبح للمسلم من الإسلام إلا الاسم أو الشكل فقط، بل وربما يصل الأمر إلى فقدان هذا الحد الأدنى أيضًا.

وبنظرة عامة على خريطة الصراعات السياسية والعسكرية في العالم، نجد أن أغلب مناطق التوتر تتركز في المناطق التي توجد فيها أقليات إسلامية، كما هو الحال في جامو وكشمير، وتركستان الشرقية، والفلبين، وبورما، والبلقان.. إلخ.

ومما يزيد أوضاع الأقليات الإسلامية سوءًا انخفاض متوسط الدخل السنوي لأفرادها، وازدياد نسبة الأمية، وارتفاع معدلات الإصابة بالأمراض والأوبئة، وما ينجم عن ذلك كله من ارتفاع معدلات الوفيات، ويظهر ذلك جلياً في أفريقيا، خصوصاً في جمهورية أفريقيا الوسطى والكونغو الديمقراطية، ووسط الأقليات الإسلامية كبيرة العدد في الهند والفلبين على سبيل المثال.

تعريف مجمل بأهم الأقليات المسلمة التي تعاني مشكلات في العالم: أولاً: اضطهاد مسلمي الروهينجا في ميانمار(بورما):

تُعرف ميانمار رسمياً بجمهورية اتحاد ميانمار وبورما، وتدرج ميانمار ضمن قائمة دول جنوب شرق آسيا، وقامت نتيجة انفصالها عن حكومة الهند البريطانية بعد اقتراح أجري لهذا الشأن، ويشير تاريخها إلى أنها كانت ضمن ولايات الهند البريطانية المؤلفة من اتحاد عددٍ من الولايات وهي: بورما، وكارن، وكابا، وشان، وكشائين، وشن.

وقد دخل الإسلام إلى بورما (ميانمار) في القرن الأول الهجري عن طريق الصحابي وقاص بن مالك رضي الله عنه. فيما يذكر مؤرخون أن الإسلام وصل إليها عبر أركان، في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد في القرن الثامن الميلادي، وقد أعجب أهل ميانمار بأخلاق المسلمين وسماحتهم فدانوا بدينهم، وعمل المسلمون في الزراعة في البدء، ثم هيمنوا على التجارة واستوطنوا في كثير من البقاع.

ويُشكل المسلمون ما نسبته أربعة بالمئة من السّكان في بورما؛ أي نسبة أقلية بالمقارنة مع الديانة البوذية التي يعتنقها معظم السكان، وذلك حسب الإحصائيات الرسميّة الصادرة عن حكومة بورما، بينما أشارت مصادر أخرى أنهم يشكلون ١٥٪ على الأقل من تعداد ميانمار البالغ حوالي ٦٠ مليون نسمة، يعيش نصفهم تقريباً في إقليم أركان الواقعة غرب البلاد على الحدود مع بنغلادش، وينتمون إلى قبائل

الروهينجا، وينحدرون من أصولٍ عربيةٍ، وفارسيةٍ، وهنديةٍ، وتركيةٍ، ولغتهم تركيبة من البنغالية، والفارسية، والعربية، لكنهم يتحدثون اللغة البورمية، ويرتدي أبنائها الزي الوطني المعروف بـ (اللونجي) كباقي السكّان فيها، بينما ينتشر النصف الآخر في القرى البورمية النائية، تصفُ الروهينجا أنفسهم بأنهم أحفاد التجار العرب الذين استقروا في المنطقة منذ أجيال عديدة. وقد ذكر العلماء أنهم كانوا موجودين في المنطقة منذ القرن الخامس عشر، غير أنّ حكومة ميانمار رفضت مواطنتهم ووصفته بأنهم مهاجرين غير شرعيين من بنجلاديش.

وفي أركان تبلغ نسبة المسلمين حوالي ٧٠% من سكان الإقليم، ويعيش معظمهم تحت خط الفقر، في الوقت الذي يواجهون فيه التسلط العسكري والاضطهاد البوذي، حيث غالباً ما يقوم البوذيون بالاعتداء على المسلمين الروهينجا. لقد أصبحت حركة (٩٦٩)^(١) رمزاً لتيار بوذي يسعى إلى عزل وتهجير المسلمين، إنّ العنف الممارس تجاه مسلمي الروهينجا في ميانمار وجد كل التبريرات التي تشرعه وتغطيه بغطاء الدين والقداسة، ذلك أنّ الرهبان البوذيين المتطرفين من حركة (٩٦٩) لعبوا دوراً مهماً في هذه النزاعات الطائفية، عندما قالوا للنّاس إنّ العنف أمر جائز، وأنهم سوف يثابون عليه، فالرهبان البوذيون المتطرفون ذوو النفوذ في ميانمار قد ساهموا في تفجر وتفاقم التوتر القديم بين كل من الطائفتين البوذية والمسلمة، منذ اندلاع الحلقة الأخيرة من العنف بين المجموعتين في منتصف عام ٢٠١٢م.^(٢) وفي بورما أخذت السلطات الحاكمة جميع أموال مسلمي بورما المنقولة والعقار، وأفقرتهم فجأة بعد أن كانوا فيها هم رجال المال والأعمال

١- حركة (٩٦٩): حركة سياسية بوذية قومية، تأسست في ميانمار سنة 1999م، تعتبر هذه الحركة البوذية الإسلام كتهديد يشكل خطراً على دولة ميانمار، حيث تعمل بشكل كبير على محاربة المجتمع الإسلامي عامة ومسلمي الروهينجا بشكل خاص، بزعم الحفاظ على الهوية البوذية. انظر وكالة أنباء ركان https://arakanna.com/wp_arakanna/5847/.

٢- الروهينجا في ميانمار الأقلية أكثر اضطهاداً في العالم: د. ليلي حمدان ص ٢-٤.

تجارة وصناعة وزراعة، واضطهدوا المسلمين ومنعواهم من مغادرة البلاد ولو للحج، وسجن منهم عشرات الآلاف، وعذبوا وطوردوا بذنب وبغير ذنب، وعملت السلطات الحاكمة على إجبار المسلمين على اعتناق البوذية، مما أدى أن أرتد ما يقارب خمسين ألف عن دينهم منذ سيطرة العسكر على مقاليد السلطة، من جهة أخرى سعت السلطة إلى تغيير ديموغرافي أستههدف جعل أركان إقليماً بوذياً، وذلك من خلال تهجير المسلمين من قراهم وأملاكهم وإعطاءها للبورميين البوذيين، وقامت كذلك بتغيير طابع أركان من خلال طمس المعالم الإسلامية التاريخية، عبر هدم المساجد والمدارس الدينية التي تدرس فيها علوم القرآن والحديث، حتى انفجرت فيها كذلك ثورة إسلامية مسلحة.

أبرز مظاهر العنف الطائفي في ميانمار:

لقد قام البوذيون سنة ١٩٤٢م بمذبحة كبيرة ضد مسلمي الروهينجا بمساعدة بريطانيا، أودت بحياة أكثر من ١٠٠ ألف مسلم معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال. وعندما سيطر الشيوعيين على الحكم في بورما عام ١٩٦٢م، كان من أولى قراراتهم مصادرة ما يزيد عن ٩٠% من أراضي المسلمين وممتلكاتهم. وسحب الجنسية من عشرات الآلاف من المسلمين بولاية أركان، وتمّ إبعاد نحو ٢٨ ألف مسلم إلى الحدود مع بنجلاديش المجاورة. وقامت حكومة بورما عام ١٩٧٨م بطرد نصف مليون من مسلمي الروهينجا من ديارهم وإبعادهم إلى حدود بنجلاديش، ما أدى إلى وفاة حوالي ٤٠ ألف منهم في المنفى.

وفي عام ١٩٩١م طرد أكثر من نصف مليون مسلم انتقاماً منهم بسبب تصويتهم لصالح المعارضة في الانتخابات النيابية التي أجريت في ذلك العام، وتم إلغاء نتيجتها، كما قامت الحكومة بسحب الجنسية من مئات الآلاف من المسلمين واعتبارهم أجنب. واستمر تعرض مسلمو الروهينجا في ميانمار للاضطهاد ولعدد من المجازر، وخاصة بين عامي ٢٠١٦م-٢٠١٨م. وقد اتهم الجيش البورمي

البوذي وقتها بانتهاكات واسعة النطاق، منها: قتل الأطفال، والنساء والشيوخ، والاغتصاب الجماعي للنساء المسلمات.

ثانيًا: مشكلة المسلمين في إقليم جامو وكشمير:

تبلغ نسبة المسلمين في الهند أكثر من ١٥% أي ما يعادل ١٠٠ مليون مسلم، وقد وصل الإسلام إلى الهند على يد محمد بن القاسم أثناء الفتوحات المعروفة في التاريخ الإسلامي بفتوحات السند أيام عهد الدولة الأموية، وعلى مدى قرون طويلة ظل المسلمون في شبه القارة الهندية أمة واحدة، ومع نهاية الاحتلال البريطاني الذي استمر حوالي مائتي عام انقسمت الهند عام ١٩٤٧م إلى دولتين هما الهند وباكستان التي كانت تضم آنذاك بنغلاديش، ونتيجة لذلك التقسيم ظهرت على مسرح الأحداث السياسية مشكلة إقليم جامو وكشمير المتنازع عليه بين الهند وباكستان، ويعيش في إقليم جامو وكشمير حوالي ١٢ مليون نسمة، ٧٠% منهم مسلمون والبقية سيخ وهندوس. ويعيش هذا الإقليم أجواء صراع طويل بين المسلمين وغيرهم، بدأت مرحلته الحالية منذ انقسام شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧م، حيث تتقاسم السيطرة عليه كل من الهند وباكستان، ولعلّ من أبرز التحديات التي تواجه المسلمين هناك تجدد النزاعات الدينية بين الهندوس والمسلمين.

ثالثًا: مسلمو الفلبين

تعدّ الفلبين من أقدم الدول الآسيوية التي دخلها الإسلام على أيدي المسلمين العرب من التجار حيث بدأ الإسلام في جزر الفلبين في منتصف القرن الثالث الهجري عن طريق التجارة، حيث كان التجار المسلمون يجوبون البلاد، ويطوفون أنحاء المعمورة من أجل التجارة والدعوة إلى الله تعالى؛ فالتاجر المسلم قديمًا كان خير داعية للإسلام بحسن تعامله مع الناس وعدله وأمانته وسمته وهديه. ومع دخول القرن الخامس ظهر الأثر الإسلامي في تلك البقاع، حيث استوطن كثير من المسلمين شبه جزيرة الملايو وسومطرة وجاوة وأرخبيل الفلبين.

ومع سقوط الخلافة العباسية حدث تحول كبير في تاريخ الوجود الإسلامي في المنطقة بأسرها؛ إذ هاجر كثير من الفقهاء والمشايخ والأسر المسلمة إلى تلك الجزر، وحصل نشاط كبير للدعوة الإسلامية في الفلبين، أدى لقيام العديد من الممالك والإمارات الإسلامية، على الرغم من أن غالبية السكان ما زالوا على الوثنية، ولكن المسلمين كانوا هم الفئة الحاكمة لرقيقهم في شتى المجالات. ويشكل المسلمون فيها ما نسبته ١١% من السكان بواقع ٦ ملايين مسلم تقريبا. وقد انفجر الوضع العسكري فيها بين الحكومة والمسلمين عام ١٩٧٠م، وتأسست بعد ذلك الجبهة الإسلامية لتحرير مورو وتواصلت هجماتها.

ملخص لمشكلات الأقليات الإسلامية:

١/ **المشاكل الاقتصادية:** ومن ذلك: مصادرة الأملاك العامة خاصة الأوقاف، وكذلك الشركات الخاصة التي بيد المسلمين، ثم تتوجه إلى مصادرة الأراضي. وبهذا تضع المجموعة الإسلامية في موقف ضعف وفقر، وتمنع على المؤسسات الإسلامية ينابيع تمويلها. أمّا المجموعات الإسلامية التي تتكون من بين المهاجرين ومعتقي الإسلام الجدد فإنه كذلك تصبح في غالب الأحيان ضحية معاملات اقتصادية تجعلها في موقف ضعيف بالنسبة للأكثرية.

٢/ **المشاكل الاجتماعية:** أكبر مشكلة تواجه الأقلية الإسلامية هي خطر انصهارها الاجتماعي في الأكثرية. وهذا الانصهار يكون في غالب الأحيان بطيئاً يؤثر على أجيال. ويبتدئ هذا الانصهار أولاً بعملية تآكل للخصائص الإسلامية للأقلية ينتهي بضياعها نهائياً بعد جيلين أو ثلاثة، وعملية الانصهار هذه تكون سريعة، كلما ساء تنظيم الأقلية الإسلامية وتفككت وأصرها خاصة إذا انعدمت المدارس الإسلامية لأطفالها والمساجد لكبارها. ففي الوقت الحاضر كما في الماضي قلما تخرج جماعة إسلامية عن دينها طوعية، لكن عندما تأخذ الأقلية الإسلامية في تقبل العادات غير الإسلامية التي تضعف هويتها، وهذا يؤدي ذلك إلى تزايد كبير في التزاوج مع

غير المسلمين، الذي يكون مصيره في حال ضعف الأقلية الإسلامية خروج الأطفال عن الإسلام، وفي آخر المطاف تسهل عملية انصهار الأقلية الإسلامية في الأكثرية. وأول علامات هذا الانصهار تبديل الأسماء الإسلامية بغيرها، خاصة بين أطفال الزيجات مع غير المسلمين فتصبح علاقة هؤلاء الأطفال بعيدة عن الإسلام، وعندما يتزوجون بدورهم بغير المسلمين يلدون أطفالاً مندمجين تمام الاندماج في ديانة الأكثرية. وبهذا تترد الأقلية الإسلامية عن الإسلام في أسوء الحالات في ظرف لا يزيد على حياة ثلاثة أجيال. وتزيد عملية الانصهار سرعة حتى بدون زواج مختلط عندما تحرم الأقلية الإسلامية من زعامتها، ولذا نرى القوى المعادية للإسلام تركز عملها أولاً: على أطفال الجالية، وثانياً: على طرد زعامتها إلى خارج البلاد إما مباشرة أو بضغوط شتى، أو بالتركيز على إفنائها. وهذا ما حدث في كل الأقليات المضطهدة. فعندما تحرم الأقلية الإسلامية من مثقفها وعلمائها تصبح مجموعة مشتتة عديمة النفوذ يسهل على الأكثرية امتصاصها والقضاء عليها، إذا لم تساند من طرف الأمة الإسلامية، وفي الواقع تعمل معظم الأقليات الإسلامية على مواجهة هذا المصير الخطير، وذلك بطرق شتى، أولها: أنها في غالب الأحيان لا تعارض في امتصاص ثقافة الأكثرية، مثل اللغة التي لا تتعارض مع الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بتلك اللغة، وهذا بالفعل ما حدث للأقلية الإسلامية في الصين، التي انصهرت في الثقافة الصينية منذ ما يزيد على ثمانية قرون، لكنها حافظت على عقيدتها وهويتها الإسلامية.

٣/ المشاكل السياسية: من أهم المشاكل التي تواجهها الأقلية الإسلامية هي تآكل حقوقها السياسية أفراداً وجماعات من طرف الأكثرية. وفي أسوء الأحوال يأخذ هذا الاضطهاد السياسي شكل اعتبار الانتماء إلى الإسلام جريمة يعاقب عليها القانون، وفي هذه الأحوال يصبح وجود الأقلية قانونياً شيئاً مستحيلاً، ويحتفظ معظم المسلمين في هذه الحالة بدينهم سراً يعاقبون إذا اكتشف أمرهم عليه، وهذا بالفعل ما يحدث في دول شيوعية مثل البانيا وغيرها في عصرنا الحاضر. وفي حالات أكثر شيوعاً

يأخذ هذا الاضطهاد السياسي شكل عدم الاعتراف بالأقلية الإسلامية كمجموعة خاصة، وهذا هو الحال في معظم دول أوروبا الغربية كألمانيا وفرنسا وبريطانيا. وهذه الحالة تؤدي بالضرورة إلى عدم الاكتراث بالمبادئ الإسلامية في تشريع قوانين الدولة. مما يؤدي إلى تشجيع عملية انصهار الأقلية في الأكثرية. وفي كثير من الأحيان يأخذ الضغط السياسي على الأفراد المسلمين شكلاً قوياً يضطرهم إلى اللجوء إلى الخيارات الثلاثة التالية:-

١/ هجرة ومغادرة البلاد.

٢/ إضعاف انتمائهم الإسلامي حتى تتقبلهم الأكثرية، وبهذا يصبحون أعداء للأقلية الإسلامية التي ينتمون إليها.

٣/ اللجوء إلى الجماعات المتطرفة في الدولة التي لا تلتزم بأحكام الإسلام في أكثرها، وفي هذه الحالات تكون خسارة الأقلية الإسلامية خسارة لا تعوّض. وفي كثير من الأحيان تنجح الأقلية الإسلامية في مواجهة هذا الخطر، وذلك على مستويات متعددة. فأول نجاح للأقلية الإسلامية هو الاعتراف بها من طرف حكومة الدولة التي تعيش فيها كمجموعة دينية ذات خاصيات مختلفة عن الأكثرية. وبذلك الاعتراف يمكن للأقلية أن تطالب بحقوقها التي تجعلها تتساوى مع الأقليات الدينية الأخرى وبالتالي مع الأكثرية. وعندما تكون الأقلية كبيرة يمكنها المطالبة بحقوقها السياسية كذلك. ثم التأثير على الدولة كلها بتعريفها بمبادئ الإسلام وأخلاقه.^(١)

١- الأقليات الإسلامية في العالم اليوم: د. علي المنتصر الكتاني ص ١٨-٢٢.

الفصل الثاني

التحديات أمام العالم الإسلامي

المطلب الأول

الأفعى اليهودية التي تنفث سمومها

ليس صحيحاً أنه منذ مؤتمر "بال" ١٨٩٧م بدأت الأفعى اليهودية تنفث سمومها، وليس صحيحاً كذلك أن الأمر بدأ قبل ذلك بقرنين، حين دعا الحاخام اليهودي ليفا ١٥٢٠-١٦٠٩م إلى اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود، لكن الأمر أبعد من ذلك بكثير، إنه منذ بزوغ فجر الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، حين كانوا يستفتحون على الذين كفروا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨٩]، إنه من قبل الإسلام منذ بزوغ فجر المسيحية حين ناصبوا المسيح عبد الله ورسوله العدا. فمئذ ألفي عام عشرين قرناً سجّل التاريخ قيام الجمعية الخفية التي ناصبت المسيح العدا، واستمرت حتى جاء الإسلام فناصرته العدا، حتى تسمت في القرن السابع عشر ١٧١٧م باسم "الماسونية"، ومارست دورها حقداً على الأديان، وتحطيماً لكل البشر من الجويم (غير اليهود).

ويمكن إبراز معاداة الأفعى اليهودية للإسلام والمسلمين، من خلال ما يلي:

أولاً: قتل الأطفال والرضع عند الأفعى اليهودية عقيدة:

وهنا ننبه بأن الأفعى اليهودية تعدّ قتل الأطفال والرضع عقيدة توراثية تلمودية، وبيان ذلك أذاعت وكالات الأنباء اليوم الاثنين ١١/٩/٢٠٠٩م أن الحاخام اليهودي يتسحاق شابيرا رئيس المدرسة الدينية اليهودية التي تسمى "لا زال يوسف حيا" أصدر كتاباً بمشاركه حاخام آخر من نفس المدرسة، تضمن فتوى دينية بقتل كل من ليس يهودياً، اذا كان يشكل خطراً على الكيان الصهيوني، حتى لو كان طفلاً أو رضيعاً.

وصدر في الكيان الصهيوني كتابٌ بعنوان: "شريعة الملك: أحكام العلاقات بين اليهود والأغيار" تأليف الحاخام يتسحاق شابيرو والحاخام يوسف اليتسيور، اعتمد فيه مؤلفاه على ما ورد في التوراة والتلمود - من نصوص عنصرية تحت اليهود على قتل الأغيار - لتبرير فتاوى الحاخامات اليهود بقتل الأطفال والرضع الفلسطينيين، حيث يؤكد المؤلفان حق الكيان الصهيوني في استهداف مواطني الدولة المعادية، وقتلهم مهما بلغت أعمارهم، ومهما بلغ عددهم، حتى لو كانوا قد وُلدوا لتوهم، أو كانوا من كبار السن، أو على حافة الموت؛ أسواء كانوا ذكوراً أم إناثاً، شاركوا في القتال والجهد الحربي، أم لم يشاركوا إطلاقاً، فيحق لما يسمى "إسرائيل" استهدافهم وقتلهم جميعاً، وأنه ينبغي قتل الفلسطينيين، لأنهم يخالفون الفرائض السبع، وأنه ينبغي استهداف المدنيين الفلسطينيين الذين يساعدون القتل، وقتلهم، حتى إذا كان هؤلاء الأبرياء مرغمين على القيام بذلك.

وقد سبق أن أصدر مجموعة من الحاخامات اليهود فتوى نشرتها صحيفة "هآرتس" يستندون في شرعية القتل والإبادة وارتكاب المجازر إلى ما نصّت عليه التوراة في قوم عملاق.

جاء في سفر التثنية: "وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إليك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً، التي ليست في مدن هؤلاء الأمم هنا، أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إليك نصيباً، فلا تستبق منهم نسمة، بل تحرمها تحريماً: الحثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليبوسيين، كما أمرك الرب إليك".^(١) ووفق هذه النصوص جاء تصريح الحاخام شلومو أفينير في كتّيب وزّعه كبير الحاخامات بالجيش الإسرائيلي أفيخاي رونتركي خلال حملة "الرصاص المسكوب":

١- سفر التثنية ١٦: ٢٠.

"إنَّ إظهار الرَّحمة إزاء عدوّ قاسٍ هو شيء لا أخلاقي بصورة فظيعة، وأبلغ الجنود بأنَّهم يحاربون قتلة!".

ثانياً: السعي لهدم الأقصى وبناء الهيكل الثالث.

إنَّ هناك أكثر من ثلاثين تنظيمًا وحركة دينية يهودية ترى أنَّ رسالتها الوحيدة العمل على تمكين اليهود من السيطرة على المسجد الأقصى، ومعظم هذه الحركات موجودة داخل فلسطين المحتلة، ولكن بعضاً منها موجود في كل من الولايات المتحدة، وعلى الأخص في حي بروكلين بنيويورك، وكذلك فإنَّ هناك حركة دينية يهودية مقيمة في استراليا تجمع كل عام أكثر من ثلاثة ملايين دولار من أجل السيطرة اليهودية على المسجد الأقصى، ويتزعم هذه الحركة الملياردير والحاخام اليهودي يوسف جوتنيك الذي يعتبر من أصحاب مناجم الذهب في استراليا، ويتولى أيضاً تقديم ملايين الدولارات سنوياً لمشاريع استيطانية لليهود بالقرب من الحرم الإبراهيمي في الخليل.

وكما يقول: شاحر إيلان المختص بشؤون الحركات الدينية اليهودية فإنَّ القاسم المشترك لجميع هذه الحركات هو أنَّها تؤمن بضرورة إقامة الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى، وتتعامل مع ذلك كما لو كان عملاً مشروعاً حسب قوانين الدولة الصهيونية. ويقول شاحر إيلان: فإنَّ هدف هذه المجموعات هو زيادة الشريحة الشبابية داخل الكيان الصهيوني التي تؤمن بضرورة القيام بعمل ما من أجل جعل السيطرة على المسجد الأقصى يهودية خالصة تماماً.

ثالثاً: التحالف بين الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية ضد العالم الإسلامي:

التعريف بالصهيونية المسيحية:

يعرّف الباحث الفلسطيني الدكتور يوسف الحسن "المسيحية الصهيونية"، بأنّها: "مجموعة المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين المسيحيين، بخاصة بين قيادات وأتباع الكنائس البروتستانتية، تهدف إلى تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين بوصفها حقاً تاريخياً ودينياً لليهود، ودعمها بشكل مباشر وغير مباشر، باعتبار

أن عودة اليهود إلى الأرض الموعودة - فلسطين - هي برهان على صدق التوراة، وعلى اكتمال الزمان وعودة المسيح ثانية، وحجر الزاوية في الدعم الشديد لهؤلاء المسيحيين لإسرائيل هو: الصلة بين دولة إسرائيل المعاصرة وإسرائيل التوراة، لذلك أُطلق على هذه الاتجاهات الصهيونية في الحركة الأصولية اسم الصهيونية المسيحية^(١). ويؤكد عدد من كبار الصهيونية المسيحية هذا المعنى، فهذا مثلاً "والتر ريغنز"^(٢) يرى أن مصطلح الصهيونية المسيحية يطلق على كل مسيحي يدعم الهدف الصهيوني لدولة إسرائيل، وجيشها، وحكومتها، وثقافتها. وهذا القس "جيرى فالويل"^(٣) يقول: "إن من يؤمن بالكتاب المقدس حقاً يرى المسيحية ودولة إسرائيل الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم، إن إعادة إنشاء دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨م لهو في نظر كل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد".

المرتكزات العقائدية للصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية في ثلاثة أمور، هي:-

أولاً: اليهود هم شعب الله المختار، وهم الأمة المفضلة على بقية الأمم والشعوب.
ثانياً: هناك ميثاقاً إلهياً ووعداً مقدساً يربط اليهود بالأرض المباركة فلسطين:
إنّ هذا الميثاق والوعد أعطاه الله تعالى لإبراهيم ونسله، وخاصة يعقوب (إسرائيل) بن إسحاق عليهم السلام، وهو ميثاق أبدي. يقول الحاخام اليهودي ألمر

١- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي- الصهيوني: الدكتور يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى - ١٩٩٠م.

٢- والتر ريغنز: الأمين العام لما يسمى "السفارة المسيحية الدولية" وهي من أحدث وأخطر المؤسسات الصهيونية ومركزها في القدس.

٣- جيرى فالويل: من كبار القساوسة الأمريكيان، وهو أحد كبار زعماء المسيحية الصهيونية، وهو زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية، والصديق الشخصي لمناحيم بيغن وإسحق شامير، والمحافظ الذي يحظى بأكبر قدر من الإعجاب خارج الكونغرس، هلك فالويل في مايو ٢٠٠٧م.

بيرجر: من الغريب أنّ الطوائف المسيحية البروتستانتية والتي تقبل التفسير الحرفي للكتاب المقدس أصبحت تتطلع إلى عودة اليهود إلى أرض الميعاد". يقول بن غوريون أول رئيس وزراء لليهود: "والإيمان بظهور المسيح لإعادة المملكة أصبح مصدراً سياسياً في الدين اليهودي يردده الفرد في صلواته اليومية... أما المصدر الثاني فقد كان مصدر تجديد وعمل. وهو ثمرة الفكر السياسي والعملي الناشئ عن ظروف الزمان والمكان، والمنبعث من التطورات والثورات التي شهدتها أوربا في القرن التاسع عشر، وما خلفته هذه الأحداث الكبيرة من آثار عميقة في الحياة اليهودية".^(١)

وقال بنيامين نتنياهو - أمام مؤتمر صهيوني مسيحي عقد في واشنطن سنة ١٩٨٥م: "هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى إسرائيل، هذا الحلم الذي يراودنا منذ ألفي سنة تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين. المسيحيون هم الذي عملوا على تحويل الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية".

ثالثاً: ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح ونزوله إلى الأرض بقيام دولة يهودية صهيونية في فلسطين:

في سنة ١٦٤٩م وجه من هولندا عالما اللاهوت التطهريّان الإنجليزيان: جوانا، وأليندز كارتررايت مذكرة إلى الحكومة البريطانية عبّرا فيها عن مدى التحوّل في النظرة اللاهوتية إلى فلسطين والقدس من كونها أرض المسيح المقدسة التي قامت من أجلها الحروب الصليبية إلى كونها وطناً قومياً لليهود، كما عبّرا عن التحوّل إلى الإيمان بأنّ عودة المسيح يجب أن تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين، وأنّ العودتين لن تتحققا إلّا بتدخل إلهي، إلى الإيمان بأنّ هاتين العودتين ممكن أن تتحققا بعمل بشري".^(٢)

١- الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: إسماعيل الكيلاني، ص ٤٢.

٢- انظر الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية: محمد السماك ص ٤١-٤٢. العقائد والأديان والمذاهب الفكرية: أ.د يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ص ٧٢٧.

تقول غريس هالسل: "إنَّ قادة اليمين المسيحي الجديد يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب أو الكوارث الطبيعية والانهايار الاقتصادي والفوضى الاجتماعية. وتقول إنَّهم يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل العودة الثانية كما يعتقدون أنها مسجلة بوضوح في الكتاب المقدس". ومن غرائب الأمور أنَّ القوم يعتقدون بما لا يدع مجالاً للشك أنَّه أثناء العودة الثانية للمسيح فإنَّ المسيحيين المخلصين سوف يرفعون مادياً (جسدياً) من فوق الأرض، ويجتمعون بالمسيح في الفضاء، ومن هناك سوف يراقبون بسلام الحروب والمشاكل الاقتصادية، وفي نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون ثانية مع المسيح، كقائد عسكري لخوض المعركة الفاصلة، ولتدمير أعداء الله من مسلمين ويهود، ومن ثمَّ ليحكموا الأرض لمدة ألف عام.^(١)

إنَّ الرئيس الأمريكي السابق ريغان كان يقول: إنَّ جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل الحرب الكبرى قد تحققت، في الفصل ٣٧ من حزقيال أنَّ الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنة، ولأوّل مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار معركة هرمجدون والعودة الثانية للمسيح.

لقد استطاعت الصهيونية المسيحية أن تغرس في أذهان وعقلية الغرب المسيحي أن ثلاثة أمور يجب أن تتحقق قبل ظهور السيد المسيح في فلسطين وهي:

الأول: قيام دولة إسرائيل: ولما قامت سنة ١٩٤٨م اعتبرها المسيحيون الصهاينة في أمريكا أعظم حدث في التاريخ، لأنَّه جاء مصداقاً للنبوءة الدينية التوراتية التي يؤمنون بها. يقول القس الصهيوني المسيحي جيرى فالويل: "إنَّ من يؤمن بالكتاب المقدس حقاً يرى المسيحية ودولة إسرائيل الحديثة مترابطتين على نحو لا ينفصم،

١- النبوءة والسياسة: غريس هالسل ص ٣٥. وكيف يسيطر اليهود على العالم: شادي فقيه، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٩٧.

إنَّ إعادة إنشاء دولة إسرائيل في العام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين لهي في نظر كل مسيحي مؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد".

الثاني: جعل مدينة أورشليم - القدس - تحت السيطرة الإسرائيلية: لأنها المدينة التي سيحكم منها السيد المسيح العالم كله، ولما احتلت إسرائيل بقية القدس سنة ١٩٦٧م - برعاية ومساعدة مسيحية أوربية وأمريكية - ضغطت الكنائس الصهيونية المسيحية في أمريكا من أجل الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل. ولقد كان ما أردت، إذ تجاوب الكونجرس الأمريكي - مجلس الشيوخ والنواب - لهذا الأمر بإصدار قرار في ذلك في إبريل ١٩٩٠م.

الثالث: إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى المبارك بعد هدمه وإزالته من الوجود:

- صرَّح أحد أبرز قادة الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة وهو القس جيري فالويل - الذي توفي أخيراً - : "لقد أعدنا جميع الخطط لبناء الهيكل...".

- ويقول المبشر الصهيوني النصراني (أوين) وهو ضابط متقاعد: "إننا نعتقد بأن سيكون الخطوة التالية في الأحداث بعد إقامة دولة إسرائيل وعودة اليهود للقدس، هو أن يعاد الهيكل، هذه ستكون مؤدية إلى عودة المسيح، وإنَّ اليهود بمساعدة المسيحيين يجب أن يدمِّروا المعبد القائم - المسجد الأقصى - ويبنوا الهيكل، لأنَّ هذا ما يقوله الإنجيل".

ولإتمام هذا المخطَّط الشيطاني الرهيب المتمثل في جعل القدس عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى وجدت وخاصة في أمريكا والكيان الصهيوني مئات المنظمات والمؤسسات، الصهيونية المسيحية واليهودية التي تعمل من أجل إنفاذ هذا المخطط. وقد استخدمت هذه المنظمات اسم فلسطين في ذلك، وهي تهدف من وراء ذلك إلى تعبئة الرأي العام الأمريكي، وممارسة الضغط على الجهات الرسمية في الإدارة الأمريكية والكونجرس لمصلحة الصهيونية السياسية. وشارك في عضوية تلك المنظمات والمؤسسات بشكل أساسي قيادات دينية بروتستانتية، إضافة إلى المسؤولين الحكوميين

والسياسيين ورجال الأعمال ورجال الصحافة والإعلام، كما ساهمت منظمات يهودية في إيجاد وإنشاء بعض هذه المنظمات الصهيونية المسيحية أو دعمها أو التنسيق معها.

المرتكزات (الدعائم) الأربعة لعقيدة الصهيونية المسيحية بعد قيام إسرائيل:

١- إعطاء كلمة إسرائيل معنى دينياً رمزياً، وليس مجرد اسم ودولة، والالتزام الأخلاقي بدعم إسرائيل هو التزام ديني ثابت ودائم، وليس مجرد التزام سياسي متغير ومتحرك وفقاً لمصالح الشعوب.

٢- اعتبار شرعية الدولة اليهودية مستمدة من التشريع الإلهي، ومن ثم اعتبار قيام دولة إسرائيل تحقيقاً للنبوءات الدينية.

٣- التشديد على أن أرض إسرائيل هي كل الأرض التي وعد الله بها إبراهيم وذريته:

أي من النيل إلى الفرات، كما جاء في التوراة: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات".^(١)

يقول الأصولي الإنجيلي (الصهيوني المسيحي) الأمريكي د. جيري فالويل: "إنه لا يحق لإسرائيل أن تتنازل عن شيء من أرض فلسطين، لأنها أرض التوراة التي وعد الله بها شعبه"، ويقول الأصولي الإنجيلي دوغلاس كريكر: "إن الأصوليين الإنجيليين مثل اليهود والأرثوذكس، مغرمون بالأرض التي وعد الله بها إبراهيم وذريته".

٤- استمرار العمل بالشعار التوراتي الذي يقول: "إن الله يبارك إسرائيل ويلعن لاعنيها"^(٢)، وعملاً به لا بد من: تقديم كل أنواع العون والمساعدة المادية والمعنوية والعلمية لإسرائيل للحصول على بركة الرب، وتجنب لعنته. ومن خلال ذلك تلتزم الكنائس المسيحية الصهيونية في أمريكا بتوجيه الرأي العام والقيادات السياسية لتأييد

١- سفر التكوين: الإصحاح ١٥ الفقرة ١٨.

٢- سفر التكوين: الإصحاح ٢٧.

إسرائيل، وإصدار القرارات التي تترجم رغبة إرادة الله، وإذا تعارضت القرارات الأمريكية مع القوانين والمواثيق الدولية فإنَّ القرار الصادر لمصلحة إسرائيل والقرار الإسرائيلي يجب احترامه والعمل بموجبه، لأنَّه يعكس إرادة الله، وأمَّا القوانين والمواثيق الدولية فلتذهب إلى الجحيم، إنَّها لا تساوي الحبر الذي كتبت به.

وجَّه أحد الزعماء المسيحيين الصهاينة نداءً إلى اليهود جاء فيه: "إنَّه لا يجوز أن يبقى اليهود أوفياءً إلى هذه المبادئ البراقة - يقصد القوانين الدولية - إذ إنَّه على إسرائيل أن تكسر من وقت لآخر القوانين الدولية، وأن تقرر بنفسها ما هو قانوني وما هو أخلاقي وذلك على قاعدة واحدة، هي: ما هو جيد لليهود، ما يكون هو في مصلحة اليهود"

.ولترسيخ عقيدة أنَّ البركة في أمريكا سببها دعم الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين المسلمة: يعلن كثير من رجال الدين البروتستانت الصهاينة في أمريكا، أمثال جيم بيكر، وكينت كوبلان، وجيمي سواجارت وغيرهم، من خلال وسائل الإعلام الدينية أنَّ من أسباب الرخاء الاقتصادي والبركة في أمريكا تأييد الشعب الأمريكي لما يسمَّى "إسرائيل" استناداً لما ورد في سفر التكوين: "أبارك مباركك ولاعنك ألعنه"^(١)، وعندما عقدت منظمة ايباك الصهيونية مؤتمرها السياسي السنوي للعام ١٩٨١م، ألقى السناتور الأمريكي ايدوارووجر (و. جبسن) كلمه أمام المؤتمر قال فيها: "إن المسيحيين وبخاصة الإنجيليين - المسيحيون الصهاينة - هم من أفضل أصدقاء إسرائيل منذ ولادتها الجديدة عام ١٩٤٨م... وأعتقد أن أسباب البركة في أمريكا عبر السنين، أنَّا أكرمنا اليهود الذين لجئوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأنَّا دافعنا عن إسرائيل بانتظام، وبورك فينا لأنَّا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض.

١ - سفر التكوين (١٢: ٣). سفر التكوين من أسفار العهد القديم - وهو جزء من كتابهم المقدس.

المطلب الثاني

الاستعمار الجديد والحروب الصليبية الجديدة

لقد سُمِّيت الحروب التي قام بها نصارى أوروبا ضد المسلمين بالحروب الصليبية لأنها قامت باسم الدين النصراني، كما أنَّ الكنيسة بزمائها وقادتها ورجالها هم الذين دعوا إلى هذه الحروب، وهم الذين أمدوها بتأييدهم المادي والمعنوي، وقد اتخذ المشتركون فيها الصليب شعاراً لهم، وكان يقدمهم الرهبان وعلى رأسهم بطرس الراهب، وملوك فرنسا والنمسا وإيطاليا وغيرهم.

أهداف الحروب الصليبية:

١/ إذلال المسلمين بغزوهم في عقر دارهم.
٢/ إقامة إمارة أو إمارات صليبية - وخاصة في فلسطين - تدوم إلى الأبد، وتتوسع حتى تقضي على الإسلام والمسلمين، يقول غاردنز: "لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي... والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام". ويقول ليفونيان فيري: "لقد أحب الصليبيون أن ينتزعوا القدس من أيدي المسلمين بالسيف ليقيموا للمسيح مملكة في هذا العالم".

٣/ تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات ضعيفة، وإبقاء التبعية الثقافية والسياسية للمستعمر الغربي، وهذا هو حال المسلمين اليوم.

٤/ التشكيك في العقيدة الإسلامية وتشجيع العقائد والأفكار اللادينية، ومن ثم القضاء على الإسلام وأهله. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ويقول: ﴿وَدَّ

كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُقَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ﴿البقرة: ١٠٩﴾.

الحروب الصليبية المعاصرة:

لقد عادت أوروبا للحروب الصليبية في القرن التاسع عشر من جديد فكان الاحتلال الفرنسي لمصر، ثم الاحتلال البريطاني لها بعد ذلك، واحتلال فرنسا للجزائر وتونس، ومراكش، وللشام، وكان احتلال بريطانيا سنة ١٨٥٧م للهند إيذانا بزوال إحدى الدول الإسلامية الكبرى التي قامت في مستهل القرن السادس عشر، ثم احتلالها لمصر، والعراق، وفلسطين، كما وقعت ليبيا تحت الاستعمار الإيطالي. ولم يكن توزيع العالم الإسلامي بين فرنسا وبريطانيا وليد الصدفة، فلقد كشف الاتفاق المنعقد بين الدولتين سنة ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م عن جانب من السياسة الغربية الصليبية التي تتمثل في تقطيع أوصال العالم الإسلامي. وصحب ذلك التقسيم الغزو الفكري بإثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانية في تركيا، والقومية العربية في البلاد العربية، حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصارى باسم القومية والتحرير! كما صحب ذلك دعوة خبيثة إلى العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة تبنتها جماعات كثيرة مشبوهة الصلات والأهداف، من أمثال حزب الاتحاد والترقي في تركيا.

لقد حاولت السياسة الاستعمارية الصليبية الفرنسية في شمال أفريقيا تحطيم مراكز الثقافة الإسلامية وركزت على التعليم، وسعت إلى دمج شمال أفريقيا في الميدان الحضاري الأوروبي المسيحي، وحاولت إقامة الحواجز أمام بلدان الشرق الأدنى وقطع كل صلة مع المراكز التعليمية العربية الإسلامية، وتعليم اللغة الفرنسية. واتبعت في مناطق غرب أفريقيا التي سيطرت عليها سياسة مشابهة حيث أنفقت على المدارس التبشيرية، واعتمد المبشرون الغربيون - وأغلبهم فرنسيون - على الأعمال الاجتماعية لتنصير بعض الأفراد من بين المسلمين ثم الهرب بهم أو عزلهم عن المناطق الإسلامية بقدر الإمكان حتى لا يعودوا للإسلام.

ولا تزال الصليبية المعاصرة تعلن عداها للإسلام بصور وأشكال مختلفة.

المطلب الثالث

التحدي الديني

ظاهرة الغلو والتطرف الديني

إنَّ ظاهرة الغلو والتطرف في واقعنا المعاصر أضحت مشكلة من أهم المشكلات المزعجة، فصارت همّاً يؤرق أهل الإسلام ودعائه. وخاصةً الغلو الذي يتعلق بالموقف من الآخرين، فنجد المغالي يكون واحداً من اثنين، إمّا أن يكون المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه سواء أكان فرداً أم جماعة إلى درجة العصمة، فيجعله مصدراً للحق، متجاوزاً مصدرَي الحق: كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإمّا أن يقف موقف الدام المتطرف، فيحكم على أخيه المسلم بالكفر والمروق من الدين، أو يذهب بعيداً فيصف المجتمع المسلم الذي يعيش فيه بأنّه مجتمع جاهلي كافر.

الغلو اصطلاحاً: عرّف العلماء الغلو في الاصطلاح بتعاريف متفقة من حيث الجملة ومحصلتها أنّ الغلو: "مجاورة الحد المشروع في الدين بالاعتقادات، أو الأقوال، أو الأعمال".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الغلو مجاوزة الحد، بأن يزداد في الشيء في حمده، أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك". وقال ابن حجر: "المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحد".

وضابط الغلو: أن يكون الغلو بتعدي الحد الذي أمر الله تعالى به، بالزيادة عليه أو التشديد فيه، ونحو ذلك، وهذا التعدي هو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١].

وقد حرم الإسلام الغلو والتطرف لأنّ فيهما مشاقة حقيقية لهدي الإسلام، وإعراض عن منهجه في التوسط، والاعتدال، والرحمة، واليسر، والرفق، وحرّمه لأنّه نوع من ظلم الإنسان لنفسه، وقسوته على ذاته، وحرّمه لأنّه صد عن سبيل الله تعالى، بما يسببه من تشويه وفتنة وتنفير. وحرّم الغلو لأنّه يورث من ابتلي به

الشقاق والنزاع، فالغلاة أكثر الطوائف انقساماً وتشرذماً، وأظهر تبرياً فيما بينهم من سائر الطوائف، فالخارج مثلاً عشرون فرقة.

أنواع الغلو:

الغلو نوعان، أحدهما الغلو الكلي الاعتقادي، وثانيهما الغلو العملي.

أولاً: الغلو الاعتقادي:

وهو: المتعلق بكليات الشريعة، وأمهاات مسائلها.

والمراد بالاعتقادي: ما كان متعلقاً بباب العقائد، فهو محصور في الجانب

العقدي الذي يكون منتجاً للعمل بالجوارح.

ويعدُّ الغلو في الاعتقاد من أخطر أنواع الغلو، وأشدّها فتكاً، وأكثره ضرراً، وما وقع الخلاف والافتراق إلّا من خلاله وعن طريقه، ولقد ظهرت أول بوادره في زمن الصحابة رضي الله عنهم عندما تجمع عصابة من الغوغاء وأعلنوا الخروج على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، أدى بالتالي إلى مقتله شهيداً مظلوماً. وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ مِنْ ضُضِّي هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ".^(١) وهاتان الصفتان اللتان ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم هما صفتان مشتركتان، توجدان في كثير من فرق الغلاة على مدار التاريخ، فهم قليلو العلم، جاهلون بالشرع. ولهذا حتى لو قرأوا القرآن الكريم فإنّه لا يجاوز حناجرهم، بمعنى أنهم يقرأون بدون تدبر، وبدون فهم، ولهذا لا يهتدون بهدي القرآن، ولا ينتفعون بمواعظه، والصفة الثانية أنهم يقعون في استباحة الدماء، فهم: "يدعون أهل الأوثان، ويقتلون أهل الإسلام". وذلك نتيجة لتكفيرهم لأولئك القوم، فهم يكفرون المسلمين، ثم ينطلقون من ذلك الاعتبار إلى استباحة دمائهم.

١- أخرجه البخاري رقم (٤٠٩٤).

من أمثلة الغلو الاعتقادي:

الغلو في الأنبياء والصالحين، كمن يغلو في نبي من الأنبياء، فيستغيث به، ويسأله من دون الله عز وجل أو يدعي فيه أنه يعلم الغيب، أو غير ذلك، مما هو من خصائص المولى تبارك وتعالى. ومن ذلك أيضا الغلو في الصالحين، وفي قبور الصالحين، وسؤالهم تفريج الكربات، وإجابة الدعوات، فهذا أيضا من الغلو الاعتقادي. ومن ذلك أيضا الغلو في التكفير بغير برهان من الله عز وجل، ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم. والغلو هنا أمر تختلف درجته من شخص لآخر يدور بين الشرك والبدعة؛ لذا يُحكم على الشخص أنه غالٍ بحسب درجة غلوه، وأكثر من يتصف بهذا النوع من الغلو هم الصوفية أصحاب الطرق ذات العهود والمواثيق التي يلتزم بها أتباعها، وأيضاً يكثر في القبوريين سواء ممن ينتسبون إلى فرق معينة كالصوفية والشيعة، أو لا ينتسبون، لكن غلوا في الأنبياء والائمة والصالحين عموماً، وتعلقوا بهم وبقبورهم التعلق الذي لا ينبغي إلا لله تعالى، ومن ذلك الاستغاثة بهم في الشدائد، وطلب كشف الضر منهم فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

مظاهر الغلو الاعتقادي:

١- الغلو في الأسماء والأحكام:

ومن مظاهر هذا الغلو ما يلي:

أ- الغلو في جماعاتهم، واعتبارها جماعة المسلمين: وهذا ظاهر من اعتبار الخوارج لمعسكرهم أنه معسكر الإيمان، وأن معسكر مخالفهم هو معسكر الكفر وفسطاطه الذي يوجبون على المسلمين البراءة منه وعداوته، والهجرة منه. كما اعتبروا دارهم دار إيمان، ودار مخالفهم دار كفر وحرب تجب الهجرة منها، وأن الإقامة فيها كفر مخرج من الملة وصاحبه مخلد في النار. وكان من آثار هذا الغلو في الجماعة وفكرها وأمرائها: الدعوة إلى اعتزال المجتمع بزعم أنه مجتمع كافر، والدعوة إلى هجرة المعاهد التعليمية والجامعات والوظائف الحكومية، كما اعتزلوا

مساجد المسلمين، وحرّموا النكاح من بنات المجتمع باعتبارهن مشركات على منهجهم.

ب- **تكفير وتفسيق المخالف لهم ولو اجتهدًا وتأويلًا:** لم يقف الأمر عند أهل الغلو من الخوارج وأتباعهم في كل عصر بالضيّق من الاجتهادات والتأويلات المخالفة لهم، بل أضافوا إلى ذلك الضيق الاعتقادات الباطلة في المخالف لهم؛ كاعتقاد فسقه وكفره وخلوده في النار! وأدهى من ذلك استحلال دمه وماله وغير ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أول البدع ظهورًا في الإسلام وأظهرها ذمًا في السنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة... ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم: **إحداهما:** خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة. **والثانية:** في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات. ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم".

٢- الغلو في الأشخاص:

من مظاهر الغلو الذي يأخذ منحى دينيًا الغلو في الأشخاص، أي: رفعهم فوق المنزلة التي يستحقونها، مع اعتقاد أنّ لهم من القداسة الذاتية أو المكتسبة ما يستوجب الخضوع لهم والإذعان لأوامرهم دون عرضها على ميزان الكتاب والسنة، سواء في ذلك الأئمة والشيوخ المتبعون، أو القادة والأمراء الذين يأمرّون وينهون. ولهذا الغلو صور كثيرة تتنوع بتنوع الأشخاص المقدّسين من أتباعهم، وهي تتراوح بين درجة الحبّ المفرط، ودرجة الطاعة العمياء التي تصل إلى حدّ العبادة مع الله أو من دونه.

وكان من لوازم وآثار الغلو والتطرف عند أتباع وأعضاء هذه الجماعات:

- أ- جعل الجماعة أصلًا من أصول الدين، لا تثبت صفة الإسلام إلّا باستيفائه.
- ب- ألّا يقبلوا من الدين إلّا ما جاءت به طائفتهم وجماعتهم.
- ج- الولاء والعداوة على أساس الانتماء إلى التنظيم أو الجماعة.
- د- رفض التعاون مع المخالفين، ولو كانوا على استقامة ورشاد، ولا شك أنّ هذا من أعظم الغلو في هذه الجماعات.

ثانياً: الغلو العملي:

المراد بالغلو العملي هو: الزيادة في العبادة. فقد يزيد المسلم في عبادة من العبادات على الحد الذي وضعه الشرع؛ طلباً للتقرب إلى الله عز وجل فيشق على نفسه، ويظهر هذا الغلو في مظهرين هما: الأول: التشديد على النفس، وقصد المشقة. والثاني: تحريم الطيبات.

ومنه الشخص الذي يصوم ولا يفطر، أو يقوم الليل كله ولا يرقد، أو يتعبد لله عز وجل باعتزال النساء، واعتزال الزوجات. وهذه الظاهرة وجدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أنس، في قصة الرهط الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فسألوا عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانهم تقالوه، ثم قالوا: وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ثم قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل ولا أرقد. وقال الآخر: وأما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر. وقال الثالث: وأما أنا فأعتزل النساء. فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم بما قالوا، بين لهم المنهج الصحيح، وأنكر عليهم هذا الانحراف عن السنة، فقال: "أَمَّا إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَاتَّقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأُصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".

ومعلوم أن الشريعة جاءت باليسر على قدر طاقة الإنسان ووسعته؛ وتأكيذاً على ذلك فقد جاءت في الوقت نفسه بالنهي والترهيب من التشديد على النفس، لما في ذلك من آثار سيئة على المغالي من حيث انقطاعه عن العمل والطاعة - المستحب غالباً - الذي ألزم نفسه القيام به، أو على الأقل التقيص منه، بسبب السامة والملل أو بسبب تزامم الحقوق عليه بحيث لا يستطيع القيام بها مع التزامه بما ألزم نفسه به هذا من جهة. ومعلوم أنه ليس للمكلف أن يقصد المشقة في العمل، ولكن له أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من نفقة وسفر كالحج، ومن إزهاق الأنفس والأموال في سبيل الله.

والنوع الأول وهو الغلو في الاعتقاد أشد خطراً من النوع الثاني، وإن كان كلاهما فيه خطر على الأمة؛ لأن النوع الثاني يؤدي إلى الفرقة بين المسلمين،

ومنه نشأت الفرق الضالة التي انحرفت عن جادة الصواب، واستباححت دماء المسلمين وأموالهم، وأوقعت في بلاد الإسلام الفتنة.

الغلو الذي يكفر به صاحبه، والغلو الذي لا يكفر به صاحبه:

١/ **لغلو الذي يكفر به صاحبه:** هو ما كان عائداً بالإبطال على أمر مجمع عليه، ومتواتر من الشرع، ومعلوم من الدين بالضرورة؛ أو ما كان عائداً بالإثبات لأمر علم من الشرع إبطاله بالضرورة.

٢/ **الغلو الذي لا يكفر به صاحبه:** هو تجاوز حدود الله عز وجل بالزيادة عليها، زيادة تقتضي الوقوع فيما حرم الله من المعاصي، ممّا لم يلزم منه تكذيب بكتاب الله عز وجل، ولا بشيء مما أرسل به رسوله عليه الصلاة والسلام. وأثر هذا التفريق يتضح حين التعامل مع الغلاة، فيعاقب الغالي غلواً مكفراً بما لا يعاقب به الغالي غلواً غير مكفّر. كما يتضح أيضاً في خطورة إطلاق القول بتكفير كلّ أهل الغلو.

آثار الغلو والتطرف:

١/ **التفرق والاختلاف:** ذلك أن فكر الغلو والتطرف يزيد الأمة فرقةً، ففي الحديث: "افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة".

إن الغلو يورث من ابتلي به الشقاق والنزاع، فالغلاة أكثر الطوائف انقساماً وتشردماً، وأظهر تبريراً فيما بينهم من سائر الطوائف، فالخوارج مثلاً عشرون فرقة.

٢/ **التناول على الشريعة واتهامها بالنقصان:** ذلك أن من يحمل فكر الغلو والتطرف إنما يبتدع في الدين ما ليس منه، وكأنه يتهم الدين بالنقصان، فالغلو والابتداع مضادة للشارع حيث نصب المبتدع نفسه مستدركاً على الشريعة لا مكتفياً بما حدّ له.

٣/ الإفراط في التدين لإثبات الذات وإظهارها بأنها مميزة عن الآخرين، واتهام أهل الوسطية والاعتدال بالتقصير والتهاون، ذلك أن الغلاة يحسبون أنهم على خير وأنهم مهتدون، وأن من خالفهم أو قصر فيما هم عليه، فقد قصر في الدين وتهاون فيه، مما يكسبهم الاغترار بالنفس.

٤/ التناقض في أفهام الغلاة، ذلك أن الغلاة يستدلون بأدلة من الكتاب والسنة هي في حقيقة الأمر تخالفهم، لكنهم أخذوا بظاهر النصوص أو أولوها بما يتناسب مع فكرهم.

٥/ التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، مما يؤدي إلى إلزام الناس بما لم يلزمهم الله به وقد يؤدي ذلك إلى الغلظة والخشونة وإيذاء الآخرين. لأن الغلو يجلب للمغالي حظوظاً للنفس وظهوراً على الآخرين، إذ طبيعة النفوس تميل لحب الرياسة، وترغب في التفرّد والتمايز عن عموم الخلائق، سواء في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب، أو الآراء والديانات والعبادات. فالغلاة يصاحبهم الغرور، ويلزمهم الإعجاب بأنفسهم، والاعتداد بأرائهم.

٦/ الانقطاع عن الطاعات، لهذا أرشدنا النبي إلى ترك الغلو والتشدد في العبادة لأنه يؤدي إلى تركها بعد ذلك، ففي الحديث: "إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه". قال ابن حجر: والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

٧/ سبب لهلاك الأمم: إن أحد أسباب هلاك الأمم الغلو في الدين، وقد حذر عنه الله تعالى في كتابه العزيز، حيث قال: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» [النساء: ١٧١]، وعن ابن عباس: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: "هَاتِ، الْقُطْ لِي، فَلَقُطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ".^(١)

١- أخرجه أحمد في المسند (٣٢٤٨)، تحقيق أحمد شاكر.

٨/ **الخروج عن الدين والتنفير منه:** إِنَّ الغلو في الدين أحد أسباب الخروج عنه والتنفير منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ منكم منفرين" (١) وعن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل كثر اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، مخلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض، ولا تأمنوني". قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من ضئضيء هذا قوماً، يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" (٢).

٩/ **تشويه الإسلام:** إن دين الإسلام هو دين العدالة والكرامة والسماحة والحكمة والوسطية، وهو دين رعاية المصالح ودرء للمفاسد.

إن أفعال الناس المنتسبين إلى الدين، تنسب عادة إلى الدين ذات، فإذا غلا امرؤ في دينه فشدد على نفسه وعلى الناس، وجار في الحكم على الخلق، نسب الناس ذلك إلى دينه فصار فعله ذريعة للقدح في الدين، والغلو في الدين في العصر الحديث شوه الدين الإسلامي الحنيف، ونفر الناس منه، وفتح الأبواب للطعن فيه، فتجراً أناس على أفعال وأقوال لم يكونوا ليجرؤوا عليها لولا وجود الغلو والغلاة.

أسباب الغلو:

الغلو في الدين له أسباب كثيرة، أسباب الغلو، ومنها:-

١- **الجهل، والتلقي عن أهل الجهل:** وقد أشار الله تعالى إلى هذا السبب في قوله سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [سورة النساء: ١٧١]. فقرن بين النهي عن الغلو، والنهي عن القول على الله عز وجل بلا علم. وهو سبب عظيم من أسباب الغلو في الدين.

١- رواه البخاري رقم (٦٦١، ٦٦٣، ٦٧٢، ٥٦٤٥)، ومسلم رقم (٧١٣).

٢- أخرجه البخاري ٣٣٧/٢، ١٥٨/٣، ١٥٩، ٤٥٩/٤، ٤٦٠، ومسلم ٣/١١٠.

٢ - **اتباع الهوى والأوهام والظنون:** وهذا السبب أيضاً أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٧٧]. فانظر كيف قرن الله عز وجل بين النهي عن الغلو، والنهي عن اتباع أهواء الغالين، الذين يقودون الأتباع إلى الغلو. فاتباع الهوى من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الغلو؛ وذلك أن الشخص قد يكون ذا علم وذا معرفة، ولكن اتّباعه لهواه يصدّه عن العمل بمقتضى معرفته، فيكون كمن لا يسمع، كما قال جل وعز: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة القصص: ٥٠]. وقال عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]. كذلك نجدهم يبنون كثيراً من آرائهم على أوهام وظنون لا تصمد أمام قوة الحق والدليل الدامغ، كتوهمهم دلالة بعض النصوص العقدية على الباطل أو معارضتها للمعقول؛ وبالتالي الإعراض عن الاستدلال بها.

٣ - **اتباع المتشابه وترك المحكم:** وهذا الملمح من أصعب ما ركبه الغلاة على مرّ العصور؛ ذلك أنه مؤدّ للانحراف والضلال عن الحق المحكم والواضح، وأخطر من هذا مسلماً هو جعلهم مناهجهم وآراءهم هي المحكم الذي يُحمل عليه متشابه الكتاب والسنة.

٤ - **التأويل والتحريف:** إن التأويل إذا لم يكن سائغاً انقلب إلى التحريف، وهو الميل عن الحق إلى الباطل، وأهل الأهواء قاطبة استعملوا التأويل على غير محمله السائغ، الذي يكون تارة بمعنى التفسير والبيان، وتارة بما هو واقع الأمر، أي: أن يكون تأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها، كتأويل النبي الأمر بالتسبيح والاستغفار بأن جعله من أذكار ركوعه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "المتأولون أصناف عديدة، بحسب الباعث لهم على التأويل، وبحسب قصور أفهامهم ووفورها، وأعظمهم توغلاً في التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه، كان تأويله أشد انحرافاً، فمنهم من يكون تأويله لنوع هوى من غير شبهة، بل يكون على بصيرة من الحق،

ومنهم من يكون تأويله لنوع شبهة عرضت له أخفت عليه الحق، ومنهم من يجتمع له الأمران: الهوى في القصد، والشبهة في العلم".

الأسباب العلمية المنهجية للغلو:

- ١/ الخلل في منهج الاستدلال، والغلو في الاعتداد بعقولهم ومنهجهم.
- ٢/ اعتماد الفلسفات والمناهج الدخيلة على المسلمين.
- ٣/ عدم الجمع بين الأدلة الشرعية، وعدم القول بموجب الجميع.
- ٤/ غياب الوسطية: إن غلو بعض المعاصرين أمات كثيراً من السنن، فتوجّه بعض من ظن أن الدين فيما عليه الغلاة، وصار يرمي الآخرين بالتفريط والتهاون في دين الله والمداهنة ونحو ذلك، بل إن علوّ صوت الغلاة وظهور أمرهم وغرابة فعلهم جعلهم أشهر في الميدان من بعض أهل الاعتدال حتى ظن بعض الجهلة أن هؤلاء يمثلون الإسلام وأهله، فبظهور الغلو اختفى الاعتدال والمعتدلون.
- ٥/ عدم الحكم بما أنزل الله في معظم البلاد الإسلامية، وعند تتبع مظاهر الغلو والتطرف على مر التاريخ نجد غالبها يرجع إلى مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا الانحراف العقدي وهو عدم الحكم بما أنزل الله أنتج انحرافاً عقدياً مقابلاً.
- ٦/ ظهور الفواحش والمنكرات وحمائتها، والتعلق بالشعارات والمبادئ الهدامة والأفكار المستوردة. والتقصير في حق الله تعالى، والوقوع في الذنوب والمعاصي. وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وشيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله، والتضييق على المتمسكين بالدين، وبالمقابل التمكين لأهل الفسق والفجور والإلحاد، مما يعد أعظم استفزاز لذوي الغيرة والاستقامة.

مظاهر الغلو والتطرف عند خوارج اليوم:

- ١/ الحكم على بلاد المسلمين بأنها بلاد كفرٍ وردة، ووجوب الهجرة منها إلى مناطق سيطرة ونفوذ دولة الخلافة.
- ٢/ استحلال قتال من خالفهم في منهجهم، أو رفض الخضوع لدولتهم الموهومة، فأعملوا في المسلمين خطفاً، وغدراً، وسجناً، وقتلاً، وتعذيباً، وأرسلوا مفخخاتهم

لمقرات المجاهدين، فقتلوا من رؤوس الثوار من المجاهدين، والدعاة، والإعلاميين، والنشطاء، وقاتلوا المسلمين بما لم يقاتلوا به الأعداء، وجميع ذلك يصدق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ".

٣/ استحلال أخذ أموال المسلمين بحجة قتال الجماعات المنحرفة، ومصادرتها دون وجه حق، واحتكار موارد الدخل العامة من آبار نفط وصوامع غلال وغيرها، والتصرف فيها كتصرف الحاكم المتمكن.

٤/ الخروج عن جماعة المسلمين، وحصر الحق في منهجهم، والحكم على جميع من يخالفهم في الفكر أو المشروع بالعداء للدين، وآخر ذلك ادعاؤهم "الخلافة"، وإيجاب بيعتهم على جميع المسلمين.

٥/ ليس فيهم علماء معروفون مشهود لهم عند المسلمين، كما قال ابن عباس رضي الله عنه لأسلافهم من الخوارج: "أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ أَنْزِلَ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ".^(١) فغالبهم من صغار السن الذين تغلب عليهم الخفة والاستعجال والحماس، وقصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، فهم كما قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: "خُذْنَا الْأُسْنَانَ، سُفَهَاءَ الْأَحْلَامِ". وقد أثر غياب أهل العلم والحكمة عنهم على تصرفاتهم فوقعوا في السفاهة والطيش، وعدم النظر لمآلات الأمور وعواقبها، وما تجره على المسلمين من ويلات ودمار، بزعم الصدع بكلمة الحق أو التوكل على الله تعالى. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الخوارج أنهم: "شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شرّاً على المسلمين منهم: لا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفرين لهم.

١- أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١٦٤/٢، رقم (٢٦٥٦)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه" ووافق الذهبي.

٦/ الغرور والتَّعالي على المسلمين، فقد زعموا أنَّهم وحدهم المجاهدون في سبيل الله، والعارفون لسنن الله في الجهاد، فالغلو يجلب للمغالي حظوظاً للنفس وظهوراً على الآخرين، إذ طبيعة النفوس تميل لحبِّ الرياسة، وترغب في التفرد والتمايز عن عموم الخلّاق، سواءً في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب، أو الآراء والديانات والعبادات.

المطلب الرابع التحديات الثقافية

اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب

يتعرض الإسلام والمسلمون للاتهام بالإرهاب والعنف والتطرف، بل إن بعض وسائل الإعلام اليوم أصبحت تبرز الإرهاب وكأنه صفة ملازمة لهذا الدين ولمعتنقيه. ونسبت بعض وسائل الإعلام وبعض الكتاب ومنهم المسلمون مع الأسف الإرهاب إلى الإسلام زعماً أن تعاليم الإسلام وأحكامه وبعض آيات القرآن تدعو إلى الجهاد ومقاتلة الكفار المعتدين، وتوجه المسلمين إلى سلوك طريقه!!! وهذا يخالف الحقيقة تماماً.

إنَّ ديننا دينٌ تميز فيما تميز به بدقة ألفاظه، وتحدد معانيها وبناء الأحكام على ذلك، فليس أمة عنيت بنصوص وحياها فدرست الألفاظ ومعانيها، دراسة لغوية ودراسة يتتبع فيها استعمالات الشارع لتلك الألفاظ كهذه الأمة.

الإرهاب اصطلاحاً:

هناك عدة تعريفات للإرهاب، ومعظمها تعريفات غامضة، وأسباب غموض هذا المصطلح، وتباين التعريفات وكثرة الآراء والأقوال يرجع إلى تباين العقائد أو الأيديولوجيات وتضاربها، التي اعتنقتها الدول، وارتضتها مناهج حياتية لها ولشعوبها. التباين في تحديد المصطلح والاضطراب فيه: وهذا ما ذكره بعض الباحثين الغربيين. ففي أبحاث القسم الفيدرالي بمكتبة الكونغرس جاء ما نصه: "تتنوع تعاريف الإرهاب على نحو واسع، وعادة تكون غير ملائمة، حتى باحثي

الإرهاب غالباً يهملون تحديد الاصطلاح... وبالرغم من ذلك رُبَّ عمل عنف ينظر إليه في الولايات المتحدة باعتباره عملاً إرهابياً لا يرى كذلك في بلد آخر".

ونقتصر هنا على تعريف المجمع الفقهي الإسلامي الإرهاب كونه صدر عن مجمع يشترك فيه عدد من العلماء يمثلون معظم العالم الإسلامي، فقد عرّفه بأنّه: "العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول، بغياً على الإنسان -دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه-، ويشمل صنوف التخويف، والأذى، والتهديد، والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحاربة، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف، أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي، أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أحوالهم، للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق، والأماكن العامة، أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية، للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض، التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].^(١)

واختصاراً لذلك التعريف نقول الإرهاب: "هو استخدام غير مشروع للعنف أو تهديد باستخدامه ببواعث غير مشروعة، يهدف أساساً إلى بث الرعب بين الناس، ويعرض حياة الأبرياء للخطر، سواء أقامت به دولة أم مجموعة أم فرد، وذلك لتحقيق مصالح غير مشروعة، وهو بذلك يختلف كلياً عن حالات اللجوء إلى القوة المسلحة في إطار المقاومة المشروعة".

وهو بهذا انتهاك للقواعد الأساسية للسلوك الإنساني، ومنافٍ للشرائع السماوية، والشرعية الدولية، لما فيه من تجاوز على حقوق الإنسان.^(٢)

١- جاء في الدورة السادسة عشر بمكة المكرمة، ٢١-٢٧/١٠/١٤٢٢هـ، الموافق ٥-١٠/١/٢٠٠٢م، ومجلة الوعي الإسلامي، عدد ٤٣٧ شهر مارس وإبريل سنة ٢٠٠٢م، ص ٨٨.

٢- جدلية الفرق بين الإرهاب والمقاومة: د. إبراهيم مهنا، موقع هيئة علماء فلسطين في الخارج،

أنواع الإرهاب الواردة في القرآن الكريم:

لقد دلت النصوص القرآنية على أنَّ هناك نوعين من الإرهاب، وهما:

١/ **الإرهاب المحمود:** وهو ما استعمل في تخويف الكافرين المعتدين، والمجرمين والعصاة، ومقتربي الآثام الموجبة للحدود، وذلك لردعهم وحماية الأمة والمجتمعات الإسلامية منهم، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، قال ابن القيم: "جعل رباط الخيل لأجل إرهاب الكفار فلا يجوز أن يمكنوا من ركوبها إذ فيه إرهاب المسلمين، كما يمنعون من حمل السيف أيضاً،^(١) ويجب على أهل الإسلام أن يبذلوا وسعهم في الاستعداد لعدوهم، ولا بد لحماية دينهم وبلادهم من قوة تصد عنهم تسلط أهل الكفر، فإنها لا تؤمن غائلتهم، والحكمة من إعداد القوة ورباط الخيل هي أنَّ الكفار إذا علموا أن المسلمين متأهبون للجهاد، ومستعدون له ويملكون جميع الأسلحة والأدوات خافوهم، كما أنَّ المنافقين والمرجفين من الناقمين على دين الإسلام لا يقلون عداوة عن الكافرين، حيث يبذلون لسانهم وأقلامهم بغية تغيير دين الله، فيتوجب على من أراد إعلاء دين الله أن يرهبهم ويضيق عليهم، ولا يعتد بالأصوات الداعية لفتح باب الحرية لهم، فإن في ذلك مرج الدين وضعفه في النفوس، فمعنى الإرهاب الوارد في هذه الآية هو دفع الاعتداء والوقاية منه، وليس الإفساد والتخريب والاعتداء على الآخرين، وقوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ هو المعنى الإيجابي ليسد باب الاعتداء، والقتل، والخراب والفساد، الذي يلحق بالمجتمع ضرراً كبيراً، فهو إذن إرهاب خير للوقاية عن الشر، ودفع الاعتداء، لا إرهاب شر لاعتداء، وقتل وخيانة، وتخريب وخروج عن الخير. وقد ورد الإرهاب المحمود أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣].

٢/ **الإرهاب المذموم:** وهو على أنواع:

١- أحكام أهل الذمة: ابن قيم الجوزية ٣/١٣٠٣.

أ- إرهاب الكافرين للمؤمنين: وذلك بقتالهم أو تخويفهم، أو صدهم عن سبيل الله، أو منعهم أن يظهرُوا شعائر دينهم، وقد ورد أمثلة كثيرة له في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، ومعنى فتنوا: حرقوهم ليرتدوا عن دينهم، وهذا الفعل الإرهابي هو الذي سلكه فرعون حين قال: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

واستعمل هذا الأسلوب أعداء الإسلام على مر التاريخ، وما يزالون فهم اليوم يقتلون المسلمين ويستحيون نساءهم في فلسطين والعراق والشيشان والبوسنة وغيرها من ديار المسلمين، ولا رادع لهم من المنظمات الدولية، ولا القوى العظمى، التي تزعم أنها تريد أن تحمل للعالم الأمن والعدل والحرية.

ب- إرهاب البغاة وأهل الحاربة والمجرمين لأهل الإيمان: وقد جاء فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

الفرق بين الإرهاب والجهاد والمقاومة المشروعة:

إنَّ الحديث عن الإرهاب بنوعيه المحمود والمذموم، يستدعي التعقيب ببيان الفرق بين الإرهاب والجهاد. فالجهاد كما يعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو: "بذل الوسع - وهو القدرة - في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق".^(١) إنَّ ما تفعله القوى العالمية الغربية اليوم من محاولة إلbas الجهاد في سبيل الله تعالى بل إلbas الإسلام كلَّه ثوب الإرهاب محاولةً بائسةً ويأسه لهدم تعاليم الإسلام وتشويه آثاره وتقويض أركانه، ومن ذلك محاولة المستشار الألمانية إنجيلا ميركل تمرير مصطلح الإرهاب الإسلامي في لقاءها الأخير مع الرئيس رجب طيب

أردوغان، وقد جاء ردّ الرئيس رجب طيب أردوغان واضحاً مجلجلاً بأنّ: الإرهاب لا دين له وليس من الإسلام. وقال بوضوح: "أنا مسلم وكرئيس مسلم لا يمكنني أن أتقبل هذه الجملة التي تقرن الإسلام بالإرهاب، وقال أردوغان: الإسلام والإرهاب لا يجتمعان، وكذلك ما يفعله الجهلة الأغبياء أذرع العملاء الجبناء من ترويع، وقتل عشوائى تحت لافتة الجهاد يهدف من حيث النتيجة إلى تشويه مفهوم الجهاد في الإسلام وتقديم خدمة مجانية لأعداء الإسلام بإعطائهم ذرائع لمحاربة الإسلام وأهله. وإنّ هناك فروقاً جوهرية بين الإرهاب وبين الجهاد والمقاومة المشروعة وهذه الفروقات هي في المجالات كلها على النحو الآتي:-

أولاً: الفرق من حيث المقصد: إنّ الإسلام لا يدعو إلى الحرب، ولا يسمح بقيامها إلا إذا كانت في سبيل الله بأحكامها وشروطها وآدابها السامية، ولا يتخذ القرار بهذا الشأن إلا إمام المسلمين العام، لا أي فرد ولا أيّة طائفة. بل لا يجوز أن تؤجج نار الحرب إلّا عقب مقدمات من الدعوة الصحيحة إلى الإسلام. وذلك لتحقيق أحد هذه الأغراض السامية وهي:-

١/ رد الظلم والعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والدين والوطن. وإغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين والمعتدين.

٢/ تأمين حرية الاعتقاد والتدين للمؤمنين الذين يحاول المعتدون من الكفار أن يفتنهم عن دينهم، ويسدوا أمامهم طريق الحرية في التفكير والاعتناق.

٣/ حماية الدعوة الإسلامية التي تحمل الرحمة والأمن والسلام حتى تبلغ إلى الخلق جميعاً.

٤/ تأديب ناكثي العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية على جماعة المؤمنين التي تتمرد على أمر الله وتآبى حكم العدل والإصلاح.

أمّا مقصد الإرهاب: الإفساد في الأرض، وترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على ديارهم وأموالهم وأعراضهم، وحرّياتهم وكرامتهم بغياً وظلماً، ومحو شعوب كاملة من الأرض، وتشتيت شملهم لإحلال آخرين مكانهم ظلماً وعدواناً.

ثانياً: الفرق من حيث الأسلوب: الإرهاب يقوم على الدموية المفزعة، والقتل بهدف القتل، ويهدف إلى ترويع أكبر قدر من الناس، ولا يراعي حرمةً لا لإنسان ولا لسن، ولا لدين ولا لبيئة، ولا لشيء على الإطلاق. أمّا الجهاد فإنّه موجه فقط إلى المعتدين المحاربين الذين يدخلون ساحة المواجهة، ويربي أتباعه على وجوب مراعاة حرمة الإنسان غير المعتدي، أو الطفل، والمرأة، والحيوان، ولا ينحرف في ردّات فعله مهما وقع عليه الظلم والعدوان، فمن آداب الجهاد وصية صلى الله عليه وسلم لجيوش المسلمين الذي غدت دستوراً دائماً لهم في الجهاد: فعن صفوان بن عسال قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية. فقال: "سيروا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً".^(١)

– ومن الإرهاب: سياسة الأرض المحروقة التي انتهجتها قوات الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وقوات الاحتلال الإيطالي في ليبيا، وجيش الاحتلال الصهيوني في فلسطين، وما فعلته القنابل النووية الأمريكية مدينتي هيروشيما ونجازاكي باليابان من محو وتدمير لكل شيء على الإطلاق، ومنه أيضاً ممارسات مدعي الجهاد ممّن يقتلون الأطفال، ويذبحون الكبار والنساء في مناطق متعددة.

– ومن الإرهاب: أنه عندما احتل النصارى الصليبيون مدينة القدس قتلوا في القدس وحدها خلال أيام أكثر من سبعين ألف مسلم، ومنعوا الصلاة والأذان في المسجد الأقصى المبارك لمدة ٩٢ سنة، وحولوا المسجد الأقصى إلى اسطبلات للخيل.

– ومن الجهاد: عندما حرّر المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي المسجد الأقصى المبارك ومدينة القدس سنة ٥٨٣هـ قام صلاح الدين الأيوبي بسقي الأسرى بيده الماء المثلج ثم عفى عنهم جميعاً.

– ومن الإرهاب: ما قام به النصارى الأسبان باسم الصليب بعد خروج المسلمين من الأندلس بتحويل جميع المساجد إلى كنائس، وقتل المسلمين، وتعذيبهم في محاكم التفتيش، وكذلك ما قام به اليهود الصهاينة من تحويل المساجد في فلسطين

١- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت- وإسناده حسن، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

المحتلة إلى حظائر واسطبلات للخيول، وتدميرهم في عدوانهم عام ٢٠٠٨م على قطاع غزة أكثر من ٤٢ مسجداً تدميراً كاملاً.

ومن الجهاد في سبيل الله: عندما يدخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة القدس فاتحاً مستلماً مفاتيحه من صفرونيوس ويدخل إلى كنيسة القيامة ويحِينَ وقت صلاة الظهر ولا يرضى أن يصلي فيها رغم جواز ذلك في الإسلام؛ كي لا يأتي من بعده من يقول: هنا صلى عمر فيحول الكنيسة إلى مسجد.

– **ومن الإرهاب:** أن يقوم اليهود والصهاينة ببقر بطون النساء الحوامل في مجازر دير ياسين، وقتل الأطفال في مدرسة بحر البقر، وقتل آلاف الأطفال في مدارسهم في غزة والضفة الغربية ولبنان.

– **ومن الجهاد:** أن يصعد مجاهد لتنفيذ عملية في مواجهة الصهاينة المعتدين المحتلين لأرضه إلى حافلة ويكون قادراً على تفجيرها، لكنه يعدل عن ذلك وينزل بعد أن يرى فيها أطفالاً. ومن الجهاد أن يقتحم شابان مجاهدان مستوطنة "إيلي سيناى" التي كانت تجثم على صدر قطاع غزة العزة، فيدخلان منزلاً يتحصنان به، فيجدان فيه امرأة مع أطفالها الثلاثة فتقول المرأة: "كان الشاب لطيفاً قال لنا: لا تخافوا لا نريد أن نؤذيكم، وادخلونا إلى الحمام الذي كان بعيداً عن مكانهما، وأغلقوا علينا الباب، وقالوا: لا تخرجوا من هنا؛ حتى لا يصيبنا أي أذى"، ثم واجهوا الجنود حتى قتلوا في سبيل الله تعالى.

ثالثاً: الإرهاب عند الغرب: إنَّ الإرهاب عند الغرب هو ما نقرأه، ونشاهده من احتلالهم للدول الضعيفة، ونهبهم لخيراتهما، وما نراه من التعذيب، والاعتصاب، والقتل، وكل ذلك موثق بالصوت والصورة، في وثائق لا يمكن إنكارها، وهو استمرار لتاريخهم القديم في احتلال الدول بالقوة، والبطش، والسلاح.

الفصل الثالث

الغزو الفكري ووسائله للعالم الإسلامي

تمهيد:

بعد أن جرّبت أوروبا الحروب العسكرية الصليبية الأولى ضد المسلمين، وبعد أن أدركت إخفاقها في تحقيق أهدافها الماكرة إذ لقيت من المسلمين جهاداً ومقاومة واستبسلاً، فكّرت أوروبا في استخدام طرق أخرى ووسائل جديدة، لكي تحقق أهدافها، وكان أمام البابا سلسلتين **الخامس أحد طريقين:**

الأولى: الأخذ بخطة المبشر الصليبي الإسباني رامون لول، التي تتلخص في غزو المسلمين تبشيراً فكرياً عن طريق وسائل العلم والتعليم، وإذا ما فشلت أوروبا في ذلك تعود لأسلوب القوة المادية في تنصير المسلمين.

الثانية: تنصير المغول الوثنيين واستخدامهم من جديد في حروب مدمرة ضد المسلمين.

اعتمد البابا الطريقة الثانية لأنها في نظره أفضل وأسرع في تحقيق الأهداف الصليبية خاصة وأن صلات مودة كانت موجودة مع المغول أثناء زحفهم على بلاد الشرق الإسلامي، ولكون المغول وثنيين يمكن أن يستجيبوا للتنصير أسرع من المسلمين. لكن جهود الكنيسة في تنصير المغول لم تفلح إذ أبطل الله تعالى كيدهم، حيث أراد الله بالمغول خيراً، لقد دخل معظمهم الإسلام بإرادتهم، طوعية واختياراً.

بعد فشل الغرب في الأخذ بالطريقة الثانية عاود الأخذ بخطة المبشر رامون لول التي عرضها على البابوية سنة ١٢٢٩م، ومما شجعهم على ذلك صلات المودة التي كانت سائدة بينهم وبين نصارى الشام، وهؤلاء النصارى العرب وسيلة جيدة يمكن الاعتماد عليها في تنصير المسلمين. ولكن أوروبا لم تعتمد خطة التبشير وحدها في الهجوم الماكر ضد الإسلام والمسلمين، بل استخدمت وسائل أخرى تستهدف من خلالها محو الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً من حياة المسلمين، ومن هنا تعددت محاور الهجوم الماكر، وكثرت وسائله التي تستهدف العقول والأذهان والأفكار المسلمة.

ولقد وجد الأوروبيون أنّ أفضل الطريق وأقربها لغزو العالم الإسلامي وإخضاعه لسيطرتهم الاستعمارية هو: سلوك الغزو الفكري، فوضعوا المخططات والبرامج الدقيقة في هذا الجانب، ونسجوا المؤامرات للغارة على الأفكار والمفاهيم الإسلامية، وعلى كل ما له صلة بالإسلام أمّة وحضارة وفكراً، وأضحت قاعدتهم التي ارتكزوا عليها هي (إذا أُرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به ومن ثم تستعبده)، فانتقلت المعركة من ساحة الحرب إلى ميدان الفكر والثقافة.

في أثناء سجنه أخذ لويس التاسع ملك فرنسا^(١) يفكر فيما حلّ به وبقومه من هزيمة، ثم عاد يقول لقومه: "إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده - فقد هُزمت أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكن القوة فيهم".

تعريف الغزو الفكري:

الغزو الفكري اصطلاحاً هو: تغيير أحوال المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية عن طريق استعمار القلوب والعقول، وتبديل الأفكار والقيم والعقائد، فيصبح المغزو فكراً خاضعاً بشكل تام لقادة الغزو وجنوده. المراد الغزو الفكري بالنسبة للعالم الإسلامي: "الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك".

١- لويس التاسع ملك فرنسا من سنة ١٢٢٦م - ١٢٧٠م، قاد الحملة الصليبية السابعة عام ١٢٤٩م، التي توجهت إلى مصر والتي باءت بالفشل، وأُسر فيها لويس، وسُجن في المنصورة بمصر، وأُطلق سراحه بغدية كبيرة، ثمّ قاد في آخر حكمه حملة أخرى سنة ١٢٧٠م، توجهت إلى تونس حيث فشلت أيضاً، ومات فيها لويس. انظر أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١/٢٦٠-٢٦٥، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط السادسة، ١٩٧٥م.

الفرق بين الغزو الفكري والغزو العسكري:

إنَّ الغزو الفكري هو أخطر الأسلحة التي استخدمها الأعداء في محاربة الإسلام: بهدف قتل روح المقاومة للغزو الصليبي الصهيوني، بالقضاء على ممكن العقيدة داخل القلوب، وتخريج أجيال تتقبل العبودية للغرب راضية بها، إن لم تكن مندفعة إليها، مستعذبة إياها، ظانة أنها متجهة في طريق النجاة!.

ويمكن ملاحظة الفرق بين كل من الغزو الفكري والعسكري فيما يأتي:

١/ الغزو العسكري يستهدف أولاً وأخيراً الأرض وما فيها من خيرات وموارد اقتصادية، وما تشكله من موقع استراتيجي للأعداء، بينما الغزو الفكري يستهدف أشرف ما في الإنسان: عقيدته وفكره، أي قلبه وعقله.

٢/ الغزو العسكري يضرُّ بالغزاة أنفسهم أكثر مما يحقق أهدافهم، لأنه يحرك في الشعوب المغزوة عاطفة الولاء للدين والوطن، ويثير فيهم الحمية ضد المستعمر، فتهب الشعوب مجاهدة عن دينها ومدافعة عن أوطانها، بينما الغزو الفكري يعمل في المسلمين عكس ذلك.

٣/ الغزو العسكري يحرك في الشعوب حسَّ العمل الجاد، للاستقلال والتحرر من التبعية والخضوع للأعداء، بينما الغزو الفكري يُفقد المغزوين القدرة والاستعداد للمجابهة، ممَّا يجعلهم يقعون في أحابيل قادة الغزو بسهولة.

٤/ الغزو العسكري وسائله منفرة، وهي مصحوبة بالدمار والقتل والدم، بينما وسائل الغزو الفكري ناعمة وخادعة، ومصحوبة بالشهوات، فالاستجابة لها من قبل المغزوين: أسرع وأكثر وأنجع.

٥/ الغزو العسكري تكاليفه باهظة، وهو يلقي أسباب المقاومة من المغزوين، وآثاره تنتهي في الغالب برحيل قادة الغزو وجنوده، بينما الغزو الفكري قليل التكلفة، ولا يلقي في الغالب أسباب المقاومة، وتبقى آثاره في عقول وقلوب المغزوين.

٦/ قادة الغزو العسكري وجنوده يوجدون في مسرح العمليات والأحداث، بينما الغزو الفكري يكون قاداته في الغالب بعيدين عن مسرح الأحداث، إنهم يعملون من خلال

عمالئهم ومأجوريهم من أبناء البلاد المغزوة، والغزو يتم في جو من العلانية التامة، وتحت سمع وبصر القانون، بل برعايته وحمايته.

٧/ الغزو العسكري لا يجد له كثيراً من الأتباع، بينما الغزو الفكري يجد له كثيراً من الأتباع والأنصار، الذين يمدون يد التعاون باستمرار لقادة الغزو الفكري، وهؤلاء الأتباع والأنصار يعتبرون أعمالهم وطنية وخدمة لبلادهم، وهم يظنون أن خيانتهم -لدينهم وأمتهم- لا يمكن أن تنكشف للناس.

أهداف الغزو الفكري:

لقد هدف الاستعمار الغربي في الغالب إلى تحقيق أهداف ثلاثة، هي:-
أولاً: ضرب الإسلام من الداخل عن طريق إضعاف فاعليته، وعزله عن التأثير في حياة المسلمين، وتحويله إلى دين - أشبه بدين النصارى- لا يأبه بحياة الناس التشريعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، أي فصل الدين وعزله عن الدولة والحكم وحياة الناس العامة.

ثانياً: وقف المد الإسلامي، وحصر الإسلام داخل حدود لا يتجاوزها، حتى لا يدخل فيه أحد من الغربيين، وحقن الشعوب الأخرى بكرهية الإسلام والمسلمين.
ثالثاً: تجزئة المسلمين أرضاً وأمة وفكراً، وتشويه صورتهم التاريخية، والحيلولة دون مستقبل مشرق للإسلام والمسلمين.

يقول لورانس براون: "لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي (الشيوعي)، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه. إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أمّا الشعوب الصفر فإنّ هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتها... ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته: إنّه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي".

أتباع وأنصار الغزو الفكري:

يمكن حصر القوى المؤازرة - من داخل البلاد الإسلامية- لقادة الغزو الفكري الصليبي واليهودي في أصناف أربعة:-

١/ **الأجراء:** وهم الذين باعوا أنفسهم لأعداء دينهم وأمتهم وأوطانهم مقابل ثمن بخس دراهم معدودة، أو مناصب موعودة، أو شهوات مبذولة ومتع مرذولة، وهؤلاء الأجراء يستخدمهم الاستعمار لتحقيق مصالحه وأهدافه، ومن هؤلاء الأجراء: زمرة السياسيين الذين ينفذون سياسة الأعداء في الحكم والسياسة، وزمرة الماليين الذي ينفذون سياسة الأعداء في مجال المال والاقتصاد، وزمرة العسكريين الذين يجرون شعوبهم لعار الهزيمة والذل في ميادين القتال، وزمرة الصحفيين والمتقفين والأدباء الذين ينشرون فكر الأعداء وثقافتهم ورمزائهم الاجتماعية.

٢/ **الخارجون:** وهم الذين ارتدوا عن الدين، وخرجوا عن أمتهم خروجاً كلياً أو جزئياً، وهؤلاء يرتدون ثياب الوطنية أثناء حملتهم المسعورة ضد الإسلام عقيدة ونظاماً وثقافة، وأثناء استيرادهم للمبادئ والأفكار والمذاهب المعادية للإسلام.

وهؤلاء هم المتربون على موائد الغرب كرهوا الثقافة الإسلامية، وتحرروا من الكثير من قيم وسلوك الإسلام وآدابه، بل منهم من ربطها بالجهل والتخلف، وقد اعتبرهم العديد من زعماء الإصلاح الإسلامي والزعماء الوطنيين من الخونة الممالئين للاحتلال.

٣/ **المتهاونون:** وهم الذين لا يبالون بالأحداث، ولا يكثرثون بالأمر، ليس لهم هدف في الحياة سوى الأكل والشرب والمسكن والنكاح ومتاع الحياة الدنيا. وقد نجد من هؤلاء من يكون على خلق ودين ظاهر، لكنه يروج الباطل والمنكر والضلال، لأن في ذلك تحقيق كسب مادي له.

٤/ **الجهلة بحقيقة الإسلام:** أو بطرق الدعوة إليه والعمل له، مع تعصبهم لما يؤمنون به من الأفكار الغير صحيحة والمخالفة لنهج الإسلام، وجاهل هؤلاء بالدين يستغله أعداء الإسلام في بث أفكارهم وآرائهم الباطلة في نفوس المسلمين، وهؤلاء

مؤازرون لقادة الغزو الفكري من حيث لا يعلمون، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، ولكن لا يشعرون.

وسائل الغزو الفكري:

لقد اعتمدت اليهودية الماكرة والنصرانية الحاقدة في حروبهم الفكرية ضد المسلمين محاور متعددة، وصوراً شتى، بل استخدموا كل وسيلة وطريقة وجدوا فيها محوراً نافعا في صراعهم ضد الإسلام، لقد تعددت وسائل الغزو الفكري، حيث جاء التبشير والاستشراق، وجاءت الاشتراكية، والقومية والوطنية، والديمقراطية، والحرية، والعلمانية، وفلسفة التطور اللادينية.. وغيرها من المسميات والشعارات وسرت عدوى هذه الأوبئة سريان النار في الهشيم وتغلغت في العقول والقلوب التي فقدت رصيدها من (لا إله إلا الله) أو كادت، وتربت على ذلك أجيال ممسوخة هزيلة أخذت على عاتقها مهمة تعبيد أمتها للغرب والإجهاز على منابع الحياة الكامنة فيها. ومن العجيب أن بعض هذه الوسائل أصبحت أمراً مستساغاً جداً عند كثير من المسلمين.

وسوف نتناول بعض من هذه الوسائل بالحديث، كاشفين عن حقيقتها، ومعرفين بأهدافها وكيدها ووسائلها، وآثارها المدمرة في حياة المسلمين.

المطلب الأول

التنصير

التنصير لغة:

التنصير لغة: هو من التَنَصَّر، ونَصَّرَه تنصيرًا جعله نصرانيًا، وهو الدخول في النصرانية وترك الدين الأصلي للشخص الذي تم تنصيره.

التنصير اصطلاحاً: (١)

التنصير اصطلاحاً هو: حركة دينية سياسية استعمارية، تهدف إلى إخراجهم من الإسلام، ونشر النصرانية بين الأمم المختلفة عامة، وبين المسلمين خاصة.

إنَّ التنصير إذن هو إحدى صور الغزو الفكري الذي يهدف إلى غزو عقول وقلوب المسلمين من خلال الأفكار والثقافات الغربية النصرانية.

إنَّ التنصير هو نسخة مكررة من رسالة المحارب الصليبي الذي قدم إلى العالم الإسلامي، وفي صدره حقد دفين وكراهية للإسلام والمسلمين. يقول القس اليسوعي "ميز": "إنَّ الحروب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه". ويقول اليسوعيون في عرض نشاطهم في بلاد الشام: "ألم نكن نحن ورثة الصليبيين... أولمَّ نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي، وباسم الكنيسة مملكة المسيح".

أهداف التنصير:

لقد رسم لويس التاسع ملك فرنسا التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنَّها تمكِّنُ الغرب النصراني من مواجهة الإسلام والنيل من قوته، وكان بينها: "تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية، تستهدف الغرض نفسه،

١- قد نستخدم مصطلح التبشير لتعارف أهله النصارى عليه.

لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً، واعتبار المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب.

ويهدف التنصير إلى تحقيق ما يلي:

الأول: تنصير المسلمين: أي جعلهم نصارى، يدينون بالدين المنسوب زوراً وبهتاناً إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.. وقد كشف ذلك بصراحة قادة المبشرين: يقول القس المبشر رايد: إنني أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح، ومع ذلك يظن المسلم أن لي في ذلك غاية خاصة: أنا لا أحب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لي في الإنسانية، ولولا أنني أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده".

الثاني: إخراج المسلمين من دينهم أو التذبذب فيه: كي يصبح المسلم بعيداً عن دينه في أخلاقه وعاداته الاجتماعية، بعيداً عن ثقافته وفكره الإسلامي، يخلو قلبه وعقله من العقيدة والحمية للدين، أو هو: هدم الإسلام في قلوب المسلمين وعقولهم، وقطع صلتهم بالله تعالى، وجعلهم مسخاً لا تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على العقيدة الربانية المتينة، والأخلاق الفاضلة القيومة. يقول روبرت ماكس أحد المنصرين من أمريكا الشمالية: "لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قُدَّاس الأحد في المدينة".

الثالث: الحيلولة دون دخول النصارى والأمم غير النصرانية في الإسلام: وهذا الهدف موجه الجهود في المجتمعات التي يغلب عليها النصارى. ويعبّر عنه بعض المنصرين بحماية النصارى وغيرهم من الشعوب من الدخول في الإسلام.

الرابع: الإيحاء بأن المبادئ والمثل والتعاليم النصرانية أفضل من أي مثل ومبادئ أخرى، بهدف أن تحل المثل هذه المثل والمبادئ محل المبادئ والمثل الإسلامية.

الخامس: إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار الأوربي الغربي والتحكم في مقدراته وخيراته وإمكانياته. يقول اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا وصاحب الوعد

المشئوم: "المبشرون هم عيون الاستعمار التي تقوم باطلاع الدول الغربية بالنواحي التي تهتم بمعرفتها". ويقول الكاتب الغربي غاردنز: "إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف الغرب".

السادس: ترسيخ فكرة قيام دولة ووطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة: وقد قام اليهود بصهيينة كثير من نصارى الغرب، وصهيينة شروح كتابهم المقدس (العهد الجديد) وحشوها بما يخدم هذه الفكرة.

السابع: التغريب: من خلال العمل على نقل المجتمع المسلم في سلوكياته وممارساته، وجوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأسرية والعقدية من أصلاتها الإسلامية، إلى تبني الممارسات والسلوكيات الغربية في الحياة. وسائل التنصير:

أولاً: التعليم في المدارس والكليات والجامعات:

يقول المنصر هنري حبيب: "إنَّ التعليم إنّما هو واسطة إلى غاية فقط في الإرساليات المسيحية، هذه الغاية قيادة الناس إلى المسيح، وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخير الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي، فإننا لا نتردد في أن نقول: إنّ رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض، إلى مدى علمي دنيوي".

وجاء في كتاب اليسوعيين في سوريا: "إنَّ المبشر الأول هو المدرسة".

ومن أجل ذلك سلك المبشرون الطرق التالية:-

أ- الإكثار من المدارس ورياض الأطفال، وقالوا: "إنَّ الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين إنما هي تعليم أولادهم الصغار".

ب- إنشاء الجامعات والكليات: أنشأت في ديار الإسلام كثير من الجامعات الاستعمارية التبشيرية، ومن أشهرها الجامعة الأمريكية في كل من بيروت والقاهرة،

وفي جنين بفلسطين. يقول نبروز رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٤٨-١٩٥٤م).

ج- اختيار المدرسين والمعلمين وفق مقياس خاص، فالمدرس يجب أن يكون أجنبياً غير وطني، وإذا دعت الحاجة إلى معلم وطني فليكن مسيحياً في الدرجة الأولى، وفي المناطق التي لا يوجد فيها أمثال هؤلاء: فليكن ممن مسخت أفكارهم وعقائدهم، ولا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه.

د- تأليف الكتب الخاصة لمختلف مراحل التعليم وحقوقه، وملؤها بالشبهات والتشكيكات وفي الدسّ على الإسلام وأهله، وإحالة الطلبة على المراجع التي كتبها المبشرون والمستشرقون.

هـ- تشجيع الطلاب المسلمين على دخول الكنيسة، وإجبارهم -أحياناً- ودفعهم للاستماع إلى مواعظ الأحد الدينية والقيام بالطقوس المسيحية. ولقد صرّح بهذا الأمر عمدة الجامعة الأمريكية في بيروت عندما أصدر بياناً سنة ١٩٠٩م، جاء فيه "إنّ هذه الكلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحي، هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجّهّزوه، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء. وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده، فنعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ، هكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ، وإن كل طالب يدخل إلى مؤسساتنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه".

و- غرس مبادئ التربية الغربية وأنماط السلوك الغربي في نفوس المسلمين وحياتهم حتى يشبوا مقلدين للغربيين، وقد استخفوا بالأخلاق والقيم الإسلامية.

ثانياً: مجال التطبيب والتمريض:

يعدّ الطب من أكرم المهن الإنسانية، لكن المبشرين استغلوه كوسيلة خداع وأداة للرق ونشر الاعتقادات المسيحية، استغلوا الدواء في نشر الإنجيل بين المرضى، يقول المبشر الطبيب بول هاريسون: "إنّ المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى.. لقد وجّدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى". وتقول

المبشرة إيراهايس ناصحة الطبيب النصراني الذاهب في مهمة تبشيرية: "يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرّر -فتبشر- لهم بالإنجيل. إياك أن تضع الطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثنى تلك الفرص على الإطلاق".

ثالثاً: المطبوعات والصحف والنشرات والمطابع:

اهتم التبشير بالمطبوعات والنشرات وإصدار الجرائد والمجلات التبشيرية، فأنشئوا المطابع لذلك، وحرصوا أن يتولى الكتابة المبشرون الحاقدون وبعض الوطنيين العلمانيين أو الأشخاص المتعاونون مع المخططات الغربية. وأخطر المطبوعات التبشيرية دائرة المعارف الإسلامية التي كتبت بعدة لغات، ومجلة العالم الإسلامي التي أنشأها القس صمويل زويمر سنة ١٩١١م، وأهم المطابع التبشيرية: المطبعة الأمريكية في بيروت، والمطبعة الكاثوليكية في بيروت أيضاً.

جاء في تقرير للندوة العالمية للشباب الإسلامي عن النشاط التنصيري في أفريقيا: لقد تمّ توزيع ٦١٠ عنواناً لكتب تنصيرية مطبوعة بلغات مختلفة، ومئات الملايين من الكتب المطبوعة والتي تم نشرها، و ٢٤,٩٠٠ مجلة متنوعة يوزع منها ملايين النسخ، ووزعوا ١١٢ مليون نسخة إنجيل في عام ١٩٨٧م، تم ترجمة الإنجيل إلى ٦٥٢ لغة ولهجة أفريقية مقابل سبع لغات تمّ ترجمة القرآن الكريم لها فقط، و ٥٤٤٥ لغة ولهجة تم ترجمة وتسجيل الإنجيل في أشرطة، وتم توزيع عشرات الملايين من هذه الأشرطة.

رابعاً: استخدام وسائل الإعلام وسائل الاتصال الحديثة: يستخدم التبشير كل وسائل الإعلام في تحقيق أغراضه التنصيرية، ومنها: الإذاعة المسموعة والمرئية، والصحافة، والمسرح، وشرائط الفيديو والإنترنت ونحوها، ومن أشهر الإذاعات التبشيرية إذاعة منتو كارلو الفرنسية، وحسب إحصائية عام ١٩٨٦هـ يملك المنصرون (٥٢) إذاعة في أفريقيا.

ومن وسائل الاتصال الحديثة التي استخدمها المنصرون: شبكة المعلومات الدولية بما فيها من: البريد الإلكتروني، والمنتديات، وشبكات الحوار، وغرف

الدرشة، ومواقع التواصل الاجتماعي (الفاسبوك) وغيره. والموقع الخاصة بالنصرانية والمنصرين.

خامساً: الجمعيات الشبابية ودور الخدمة الاجتماعية، والأندية الرياضية وبيوت الطلبة والشباب، ودور العجزة والمسنين:

وتهدف جميع هذه الجمعيات والأندية إلى الصول إلى قلب المسلم وعقله بسبل مختلفة ظاهرها إنساني أو رياضي أو اجتماعي، وباطنها التنصير ونقل القيم النصرانية للمسلم.

جاء في مقررات المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القدس سنة ١٩٣٥م: يجب أن نستخدم جميع الوسائل كالمدرسة... وجمعية الشبان المسيحية، وجمعية الشابات المسيحيات وسواهما من منظمات الشباب، والأندية الرياضية، وبيوت الطلبة التي يجب أن تجذب الطلاب إلى مملكة المسيح .

سادساً: تقديم المساعدات والمعونات للفقراء والمحتاجين:

استغل المبشرون الفقر والجوع فقاموا بتقديم المساعدات المالية والعينية لفقراء المسلمين ممزوجة بالتبشير بالنصرانية.

سابعاً: المكتبات والمراكز الثقافية والتصوير والاستكشاف والكشافة والمخيمات والمؤتمرات الطلابية والشبابية للجنسين.

ثامناً: إقامة المشروعات الزراعية والصناعية، ومشروعات إنعاش القرى والأرياف، ثم استغلالها في التبشير بالمسيح، والمبشر الناجح يؤثر في الفلاحين والمزارعين من خلال سلوكه الشخصي وأقواله وأعماله.

تاسعاً: البعثات الجامعية والمنح والقروض للطلاب المحتاجين:

قام المبشرون باختيار نفر من الطلاب المسلمين لإرسالهم إلى أوروبا وأمريكا كي يكسبهم شيئاً من أساليب الحياة الغربية، ومن الثقافات والاتجاهات الفكرية الغربية، ومن ثم إما أن يصبح هؤلاء الدارسون-في جامعات ومعاهد الغرب- إما نصارى بالفعل أو ممالئين للنصرانية.

عاشراً: المناظرات والحوارات والندوات والمحاضرات في مختلف المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي.

الحادي عشر: رعاية بعض الأحزاب والمنظمات القومية والوطنية وتوجيهها الوجهة اللادينية، وخاصة في لبنان وفلسطين وسوريا.

الثاني عشر: استخدام شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ومواقع التواصل الاجتماعي.

الثالث عشر: الدعوة إلى التسامح المشبوه، والحوار بين الأديان، واستغلال الحوار لإقامة علاقات إنسانية من خلالها يتم التبشير بالمسيحية ومفاهيمها.

المطلب الثاني

الاستشراق

لقد نشطت حركة الاستشراق في القرن الرابع عشر الهجري وبخاصة بعد سقوط الخلافة نشاطاً ملحوظاً، وتتلخص حركة الاستشراق هذه بأنها إحدى المحاولات والأساليب التي اعتمدها الغرب عبر العديد من مؤسساته وعلمائه، للدس على الإسلام وإلقاء الكثير من المفتريات والأباطيل في محيط الإسلام وأفكاره ومصادره وتاريخه تحت مظلة البحث العلمي.

الاستشراق اصطلاحاً:

الاستشراق هو: الدراسات التي يقوم بها غير المسلمين من اليهود والنصارى ونحوهم من الكفرة للدين الإسلامي، وعلوم المسلمين، وتاريخهم، ولغاتهم، وأوضاعهم السياسية والثقافية والاجتماعية، بهدف تشويه الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم، وذلك بالطعن في أهم مصادر التشريع: القرآن الكريم والسنة، وتاريخ المسلمين.

والمستشرق: هو العالم الذي يشتغل بتلك الدراسات، وأغلب المستشرقين يهدفون من دراستهم تشكيك المسلمين في معتقداتهم وتراثهم التاريخي والفقهي، وإضعاف روح المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين.

دوافع وأهداف الاستشراق:

يستطيع الباحث أن يتلمس أهداف المستشرقين ودوافعهم من خلال دراسته أعمالهم الاستشراقية التي تتمثل في أبحاثهم ودراساتهم، ومؤلفاتهم، ومؤتمراتهم وجمعياتهم، ومن خلال تفحص أوجه الصلة بين الاستشراق والتبشير، وبين الاستشراق والدوائر الاستعمارية الغربية، ويمكن إيجاز أهدافهم ودوافعهم فيما يلي:-

أولاً: الدافع الديني للاستشراق:

تتبين حقيقة هذا الدافع للاستشراق من خلال دراسة نشأته وتاريخه، فقد نشأ على أيدي الرهبان وكان خروجه من الكنيسة، وهذا الدافع كان أمراً ضرورياً للكنيسة،

ولاسيما أنه قد حدثت مواجهة بين الكنيسة والعلم، وأفلسَت الكنيسة في أطروحاتها ومبادئها التي كانت تتغنّى بها، فما كان لها من سبيل إلا الهجوم على دين الإسلام، وكما قيل: أفضل وسيلة للدفاع هو الهجوم، فجعل الاستشراق غايته الهجوم على الإسلام في عقيدته وعبادته وأحكامه، وتصويره بأنّه دين القتل وسفك الدماء والشهوات، كل ذلك من أجل التغطية على فشل الكنيسة واصطدام مبادئها بالعلم والواقع والتاريخ.

يقول لورنس براون: إنّ دين المسلمين دين دعوة، إنّ الإسلام انتشر بين النصارى وغير النصارى، ثمّ إنّ المسلمين كان لهم كفاح طويل في أوروبا، فأخضعوها في مناسبات كثيرة،^(١) والدافع الديني للاستشراق يتمثل في الأمور التالية:-

١/ حماية الدين النصراني من نقد علماء النصارى له، عبر إشغالهم بالعمل الاستشراقي ضد الإسلام والمسلمين.

٢/ حماية النصارى من الدخول في الإسلام من خلال تشويهه لهم من خلال المستشرقين.

٣/ محاولة تنصير المسلمين، أو تشويه صورة الإسلام في نفوس أبنائه، وحملهم على كراهيته والابتعاد عنه، ومن ثمّ إمّا أن يكونوا من الملاحدة الذين لا دين لهم، أو من الخاضعين فكرياً واجتماعياً لحضارة الغرب اللادينية.

٤/ إثارة الشبهات والشكوك في مصادر التشريع الإسلامي، والزعم بأن أصوله ومبادئه مستمدة من اليهودية والنصرانية.

ثانياً: الدافع الاستعماري للاستشراق:

لقد عمد المستشرقون إلى دراسة الإسلام وعلومه وآدابه خدمة للمخطط الاستعماري الذي يهدف إلى السيطرة على العالم الإسلامي، وخاصة بعد أن انهزم الغرب في حروبه الصليبية على العالم الإسلامي، وكانت شديدة الوطأة على الغرب من النواحي كافة، العقديّة والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، والعسكرية، إلّا أنّ الغرب بدأ يعيد حساباته، ويخطط للاحتلال والغزو مرة أخرى، ولكن في هذه المرة

١- التبشير والاستعمار ص ١٨٤.

يكون بشكل آخر واستراتيجية مختلفة، حيث لجأ هذا العدو إلى تأسيس مراكز وأكاديميات مختصة بشؤون العالم الإسلامي، وصرف جهودًا جبارة وأموالاً طائلة، لتكون مرافقة مع استعمارها للأمة وبلادها.

فكانت الدراسات الاستشراقية بغية تحقيق ما يلي:-

١/ **اكتشاف مواطن القوة في الشعوب المسلمة** - عناصر المقاومة الإسلامية الروحية والمعنوية - التي تقف حائلاً أمام السيطرة الاستعمارية، ثم بث عوامل الوهن والارتباك في تفكير المسلمين، لإفقادهم الثقة بأنفسهم وتراثهم، وتنمية مواطن الضعف التي تجعل في المسلمين قابلية للاستعمار بأشكاله وأساليبه الحديثة والمعاصرة.

٢/ **العمل على ارتداء الشعوب المسلمة في أحضان الغرب الاستعماري**، والإقبال على الأفكار والثقافات الغربية المادية اللادينية.

٣/ **إحياء الدعوات والنعرات الجاهلية**، وإحلال المفاهيم القومية والوطنية الضيقة، ومن ثم تشتيت شمل الأمة المسلمة الواحدة التي تجمعها رابطة: وحدة العقيدة وأخوة الإيمان.

يقول لورانس بروان: "الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي".

ثالثاً: الدافع السياسي للاستشراق:

ظهر الدافع السياسي وراء الدراسات الاستشراقية على النحو التالي:-

١/ أنه لما خضع العالم للاستعمار الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين اضطرت الدول الاستعمارية إلى تعليم موظفيها في المستعمرات لغات أهلها، وآدابهم وتاريخهم وتراثهم، حتى يتمكنوا من سياسة شعوب تلك البلاد، وتوجيهها لقبول السياسات الاستعمارية.

٢/ لما رحل الأجنبي عن البلاد الإسلامية وتحررت الشعوب من سيطرته العسكرية، أراد الغرب الصليبي أن تكون له في قنصلياته وسفاراته رجال لهم زاد جيد من

الدراسات الاستشرافية، لكي يقوم هؤلاء الرجال بالمهام التي تخدم سياسة الغرب وأطماعه في المنطقة.

ومن المهام لرجال السفارات الغربية:

أ- الاتصال برجال الفكر والأدب والسياسة والصحافة وإقامة علاقة مودة وصداقة معهم، ومن ثمّ استخدامهم في بثّ الاتجاهات السياسية والفكرية التي تريدها الدول الاستعمارية.

ب- الاتصال بالعملاء والأجراء الذين تربوا في أحضان الغرب ومعاهده، ومن ثم تزويدهم بما يساعدهم على القيام بمهمة خدمة الغرب.

ج- إحداث الفتن والثورات والانقلابات السياسية والاجتماعية والثقافية في العالم الإسلامي.

د- بثّ الدسائس السياسية والفكرية للنفرة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الإسلامية.

رابعاً: الدافع الاقتصادي والتجاري:

إنّ ثروات الشرق الإسلامي وخيراته وموارده إحدى الأهداف التي يسعى الغرب للسيطرة عليها، لاحتياج الغرب لها في ازدهار صناعته وتجارته، ولحرمان شعوب المنطقة منها، وأيضاً لتوسيع تجارة الغرب بالاستيلاء على الأسواق التجارية الاستهلاكية، والقضاء على الصناعات المحلية، ومن هنا عمد المستشرقون إلى السفر إلى البلدان الإسلامية لدراسة تاريخها، وجغرافيتها، وطبيعتها الزراعية والبشرية، ودراسة عادات وتقاليد الشعوب المسلمة المتعلقة باللباس والطعام ونحوه. ذلك لذا قام الغربيون بالاتصال المباشر مع العالم الإسلامي اقتصادياً، وذلك باستيراد ما تقتقر إليه من المواد الخام الطبيعية وبأسعار زهيدة وبخسة، حفاظاً على مستوى التصنيع والتقنية عندهم، وإبقاء لمستوى التراجع والتخلف في منطقتنا الإسلامية، التي كانت مهداً للصناعات والاختراعات، وجعلها منطقة استهلاك فحسب، وبذلك يتم القضاء كلياً على الصناعات الوطنية والمحلية.

ومن أهم نتائج هذا الدافع وثمراته أنَّ أموال المسلمين ومصالحهم صارت بأيدي الغربيين، فمعظم أغنياء المسلمين وأصحاب الثروات الكبيرة والأرصدة العالية، يودعون أموالهم وأسهمهم في بنوك الغربيين، حيث لا يصل إليهم من هذه البنوك إلا النزر اليسير من الأرباح، أمَّا الغربيون فيربحون من وراء هذه الأرصدة الملايين والمليارات، وإذا صارت هناك إشكالات أو مشكلات سياسية بين هذه الدول الغربية والدول الإسلامية، ربَّما تؤدي بتلك الأموال المودعة إلى التجميد أو إلى الاستيلاء عليها، ولا يحق لأصحابها استرجاعها أو المطالبة بها، كما حدث في الآونة الأخيرة في أمريكا وبعض الدول الغربية الأخرى، التي اتهمت مؤسسات وشركات ومنظمات خيرية بدعمها للإرهاب من أجل حياة أرصدتهم وأموالهم، وكل ذلك ثمرة واضحة لمخططات المستشرقين مع دولهم الاستعمارية لنهب ثروات الأمة الإسلامية بشتى السبل والوسائل .

خامساً: الدافع العلمي للاستشراق:

هناك قلة من المستشرقين درسوا علوم الإسلام وآدابه بدافع الرغبة في الاطلاع على حضارة وأديان غيرهم من الأمم، ومن باب طلب المعرفة وحبها، وبعضهم درس علوم الإسلام بحثاً عن الحق وبلوغاً إلى الحقيقة، وقد اتبعت هذه القلة الموضوعية والحييدة والاعتدال، ولذا فإنَّ نفرًا منهم اعترف بأنَّ المبادئ الإسلامية تتفق والحقائق العقلية المنطقية وتتوافق مع الحقائق العلمية، وشهدوا بريادة الفكر الإسلامي، وخاصة في العلوم التجريبية والرياضية.

فالمستشرق توماس أرنولد أنصف المسلمين في كتابة الدعوة إلى الإسلام. وأعلن بعض المستشرقين إسلامه، ومنهم: المستشرق النمساوي ليوبلد فايس الذي تسمى بـ محمد أسد، والشاعر الألماني جوتييه، والمستشرق الفرنسي واثنين رينيه الذي تسمى بـ ناصر الدين وقد أسلم وعاش في الجزائر، وله كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام، مات في فرنسا، ودفن في الجزائر. والدكتور جرينيه الذي كان عضواً بمجلس النواب الفرنسي، وروحيه جارودي الذي أسلم ودوّن عدة كتب يدافع فيها عن حق الفلسطينيين العرب في وطنهم. ولقد تحوّل بعض المستشرقين بعد إسلامهم إلى جنود مدافعين عن الإسلام وقضاياه، وعن العالم الإسلامي وقضاياه ومشكلاته،

غير أن بعضاً منهم قد وقع في أخطاء علمية بسبب حداثة إسلامهم، وجهلهم بأساليب اللغة العربية وطرائق التعبير فيها.

وسائل الاستشراق:

لقد لجأ المستشرقون من أجل تحقيق أهدافهم إلى وسائل وأساليب متعددة أهمها:

أولاً: تأليف الكتب في الموضوعات والدراسات العربية والدينية، ألفوا في التاريخ العربي الإسلامي، وفي الشريعة والعقيدة، وفي تاريخ الأدب العربي، وفي التصوف والأخلاق، وفي العلوم المتعلقة بالقرآن والسنة، وأكثر مؤلفاتهم مشحونة بالأكاذيب والطعون في الإسلام ومملوءة بالشبهات والشكوك. وقد بلغت أعداد الكتب التي ألفوها منذ القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ما يقرب من ستين ألف كتاب.

ثانياً: إصدار الموسوعات والمعاجم بلغات مختلفة، وقد اعتبرت هذه المعاجم والموسوعات مرجعاً لكثير من طلاب الدراسات العربية والإسلامية، ومن هذه الموسوعات: دائرة المعارف الإسلامية، المعجم العربي اللاتيني لجورج فيلهم فرايتاك، تاريخ الأدب العربي للألماني كارل بروكلمان، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لعدد من المستشرقين، ويعد المعجم الأخير من الأعمال المهمة والتي وضعها المستشرقون لتهيل مهمة وصول المستشرق للحديث النبوي، لكنه وصل المسلمين فاستفادوا منه ولا يزالون، بخلاف الأعمال الأخرى التي تضمنت سموماً للنيل من الإسلام.

ثالثاً: إلقاء المحاضرات وعقد الندوات في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي.

رابعاً: إصدار المجالات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين.

خامساً: جمع المخطوطات وفهرستها وتحقيقها ونشر الكثير منها، وخاصة تلك التي تحمل الأفكار الضالة والعقائد المنحلة، وقد بلغت المخطوطات العربية في مكتبات أوروبا عشرات الآلاف.

سادساً: الترجمة: قام المستشرقون بترجمة المئات من الكتب والمؤلفات العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية، لقد ترجموا القرآن الكريم ووضعوها في الهوامش ومقدمات ترجماتهم تصوراتهم الخاطئة للحقائق والمفاهيم الإسلامية.

سابعاً: نشر المقالات والبحوث في الصحف والمجلات الإسلامية، وقد تمكنوا من استئجار عدد منها لنشر أفكارهم وآرائهم المعادية للإسلام.

ثامناً: عقد المؤتمرات الاستشراقية التي يتدارسون فيها طرق ووسائل الاستشراق وأهدافه ويتبادلون فيها الرأي والمكيدة، وأول مؤتمر استشراقي عقد في باريس سنة ١٨٧٣م.

تاسعاً: التدريس في الجامعات والمدارس التي أقامتها الدول الأوروبية في ديار المسلمين ولقد استطاع المستشرقون أن يخرجوا أعداداً من أبناء المسلمين الذين يكون ولاؤهم الثقافي والسياسي والحضاري للغرب.

عاشرأ: تربية عدد من أبناء المسلمين - وخاصة في جامعاتهم ومعاهدهم ومراكزهم العلمية - على أفكارهم المعادية للإسلام ومن ثم استخدامهم معاول هدم للإسلام من الداخل.

تلاميذ المستشرقين:

لقد استطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجامع العلمية، وقد عُيِّن عدد كبير منهم أعضاء في هذه المجامع في سوريا ومصر، كما استطاعوا أن يؤثروا على الدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي من خلال تلاميذهم ومؤلفاتهم، وبذلك استطاع المستشرقون أن يكسبوا عدداً من الأنصار في العالم الإسلامي، وأن يربوا في معاهدهم العلمية عدداً من التلاميذ، الذين استخدموهم كمعاول هدم للإسلام من داخله، وقد آزر هؤلاء الأنصار والتلاميذ أساتذتهم المستشرقين في مواقفهم ودعواتهم العدائية ضد الإسلام، فعملوا على تضليل الجماهير المسلمة، وأساءوا إلى الإسلام والمسلمين إساءة كبيرة. الدكتور طه حسين، وسلامة موسى، وحسين فوزي، وزكي نجيب محمود، ومحمود عزمي، وعلي عبد الرازق، وأحمد لطفي السيد، وعبد العزيز فهمي، ولويس عوض، وتوفيق الحكيم، وآخرون غيرهم. ولمعرفة تأثير

الاستشراق في عالمنا الإسلامي نأخذ مثلاً واحداً، ألا وهو الدكتور طه حسين، ولعلّه من أنشط وأخطر تلاميذ المستشرقين.

كان طه حسين من أبناء الأزهر، أرسل إلى فرنسا، فدرس في جامعات مونبلييه، والسربون والكوليج دي فرانس، تعلّم هناك على أيدي المستشرقين أمثال: كازانوفا، ومرجليوت، ودوركايم، وماسينون، ولما عاد إلى مصر أخذ بالترويج للثقافة الفرنسية والحضارة الأوروبية، ودعا في كتبه المصريين إلى أخذ الحضارة الغربية حلوها ومرها خيرها وشرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، وافتخر بإعجابه وحبه الشديد بفرنسا وحضارتها، وزعم أنه من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية، وعرف عنه تقديره للمستشرقين وكتاباتهم حول الإسلام، وأما كتب طه حسين عن الإسلام فلقد ملأها بالتشكيك، وإثارة الشبهات.

ويمكن إجمال أفكار وأعمال طه حسين فيما يلي:-

١/ زعمه بالتناقض الواضح بين نصوص الكتب الدينية وما وصل إليه العلم، وكان يقصد القرآن الكريم.

٢/ تشكيكه فيما حكاه القرآن الكريم من بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة. وزعم أنها رواية خرافية، وأنّ الإسلام لم تكن له أولية في بلاد العرب، أو أنه دين إبراهيم عليه السلام.

٣/ صرّح بأن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين، وعلى كل مصري أن يبقى فرعونياً لأنه كان فرعونياً قبل أن يكون عربياً.

٤/ زعم أنّ المصريين تعرضوا لضروب من البغي والعدوان جاءتهم من الفرس والرومان والعرب (يقصد الفاتحين المسلمين).

٥/ الإنسان يستطيع أن يكون مؤمناً وكافراً في وقت واحد، مؤمناً بضميره، وكافراً بعقله.

٦/ قال علينا أن نسير سيرة الغربيين ونسلك طريقهم، ونأخذ حضارتهم بكل حذافيرها.

٧/ وصف القرن الثاني الهجري بأنه عصر شك ومجون، وانتقص قدر الرعيل الأول من الصحابة الكرام، ووضعه موضع النقد، وأشاع الأسطورة في السيرة النبوية.

٨/ تفاخره بتبعيته للاستشراق والتبشير والتغريب.

٩/ دعا إلى العلمانية، وإلغاء التعليم الديني.

١٠/ تابع المبشرين في قولهم ببشرية القرآن، وأنكر القراءات السبع.

لقد كانت جملة آرائه وأفكاره مسروقة من فكر المستشرقين والمبشرين، فكتابه الشعر الجاهلي أخذ نظريته من مرجليوت، ورأيه في المتنبي أخذ نظريته من بلاشير. ومذهبه في النقد أخذ نظريته من تين وبرودينر، وبحثه عن ابن خلدون أخذه من دوركايم، واتجاهه في حديث الأربعاء أخذه من سانت بيف.

وننوه هنا بأن اللجنة العلمية للأزهر الشريف التي ضمت مجموعة من كبار العلماء قدّمت تقريراً للأزهر حول كتاب الشعر الجاهلي لطفه حسين، جاء فيه: "والكتاب مملوء بروح الإلحاد والزندقة، وفيه مغامر عديدة ضد الدين مبنوثة فيه... والمتأمل فيه يجده دعامة من دعامة الكفر، ومعولاً لهدم الأديان، وكأنّه ما وضع إلا ليأتي عليها من أصولها، وبخاصة الدين الإسلامي".^(١)

الصلة بين الاستعمار والاستشراق والتنصير:

ويمكن بيان الصلة بين الاستعمار والاستشراق والتنصير فيما يلي:-

- ١/ أكثر المستشرقين من منسوبي الكنيسة ورجالها الذين يحملون في نفوسهم أهداف التنصير ومخططاته.
- ٢/ اعتمد المبشرون على مؤلفات وكتب ورسائل المستشرقين، واستفادوا منها في حملتهم التبشيرية.

١- قوى الشر المتحالفة -الاستشراق- التبشير -الاستعمار- محمد محمد الدهمان، دار الوفاء، المنصورة الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ص ٥٩.

٣/ كان المبشرون والمستشرقون هم المقدمات النفسية والمعنوية لطوابير الجيوش الاستعمارية، وهم الممهّدون للسيطرة الغربية على مقدرات الأمة المسلمة ومواردها وخيراتها.

٤/ استطاع المستعمر الغربي أن يجند مجموعة من المستشرقين والمبشرين ليكونوا دعائم مخططاته، وأدوات تنفيذ سياساته في البلدان الإسلامية، وقام بدعمهم بمختلف الإمكانيات لإنجاح مهامهم.

٥/ تقاسم التبشير والاستشراق والاستعمار الأدوار في خطة غزو العالم الإسلامي ثقافة وفكراً، وعقيدة وشريعة، وأمة وأرضاً، وعملوا سوياً على إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، فالتبشير حمل أعباء الدعوة الجماهيرية من خلال المدارس ورياض الأطفال والمستشفيات، ودور الضيافة والملاجئ للعجزة والمسنين والنوادي الرياضية والاجتماعية، وأن التنصير قد اتكأ كثيراً على الاستشراق في الحصول على المعلومات عن المجتمعات المستهدفة، لا سيما الإسلامية في موضوعنا هذا، وخاصة عندما اكتسب مفهوم التنصير معنى أوسع من مجرد الإدخال في النصرانية إلى تشويه الإسلام والتشكيك في الكتاب والسنة والسيرة وغيرها.

وحمل الاستشراق عبء الأعمال في ميدان المعرفة والعلم، فاستخدم التأليف والكتابة وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات، وإصدار الموسوعات والمجلات، وأما الاستعمار فقد أعان كليهما مادياً ومعنوياً، ليقوم كل منهما بمهامه وهو آمن على نفسه وعلى إنجاح خطته، واستطاعوا جميعاً إيجاد أجيال متعاقبة من المسلمين لا تفقه الإسلام ولا تحفظ من القرآن الكريم إلا آيات معدودة، أجيال تنتكر لدينها وهويتها الإسلامية، وتعمل ضد مصالح المسلمين، أجيال تسخر نشاطها وأقلامها وأموالها في النيل من الإسلام وعلومه وآدابه وحضارته.

الاستشراق والتنصير في خدمة اليهودية:

لقد تمّ استغلال الاستشراق والتنصير في خدمة اليهودية والصهيونية التي يهمنها إضعاف الشرق الإسلامي، وإحكام السيطرة عليه.

ويكفي أن نعلم أنَّ في أوروبا وأمريكا آلاف القساوسة والرهبان ومئات المنظمات الكنسية الأصولية الإنجيلية العاملة من أجل دعم الكيان الصهيوني مالياً ومعنوياً، وكلها تحت اليهود في الاستعجال بهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل اليهودي الثالث على أنقاضه. لأنَّ المسيح سينزل بعد ذلك، وعلى رأس الألف الميلادي كما جاء في رؤيا يوحنا.

المطلب الثالث

التغريب

إنَّ من أساليب الغزو الفكري التغريب أو الاستغراب، وهو ما يقوم به الغرب من مخططات لحمل المسلمين على تغيير حياتهم الاجتماعية والسلوكية واقتفاء سيرة الغربيين.

تعريف التغريب:

يعرفه الدكتور على جريشة فيقول: هو إحداث التغيير الاجتماعي والأخلاقي والفكري في حياة المسلمين مما يجعلهم بعيدين عن دينهم، وخاضعين في ذلك للجاهلية الغربية، ومقتفين آثارها الخلقية والاجتماعية، أي يصبح المسلم غربياً أوروباً في سلوكه وأخلاقه وقيمه وحياته الاجتماعية. ويمكن تعريف التغريب بنه: تحويل سلوك المسلمين، وعاداتهم، وتقاليدهم، وقيمهم، وأعرافهم، وثقافتهم لتكون تابعة للغرب.

ملامح خطة التغريب:

١/ اعتمد التغريب خطة طويلة الأمد لتغيير أحوال المسلمين وسلوكهم، حتى لا تحس الأمة المسلمة بأهدافها البعيدة، أو لا تشعر بأسلوبها الذي تعتمده في التغيير، وكأن هذا التغيير يتم تلقائياً.

٢/ اتخذ التغريب لتحقيق أهدافه رسولاً من أبناء المسلمين أنفسهم، يدعو القوم إلى أفكار الغرب وأخلاقه، وهم المفكرون والأدباء والكتاب الذين تربوا في أحضان الثقافة الغربية، لقد كانت خطة الغرب: أن يقطع الشجرة أحد أعضائها.

٣/ يبدأ التغريب أولاً في أدنى مظاهر الحياة الاجتماعية، كالأكل والشراب باليد اليسرى، واستخدام الكلمات والمصطلحات الأجنبية في آداب التحية والوداع أو التحية بغير تحية الإسلام المعروفة - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - ثم الانتقال إلى كبائر المحرمات كأكل لحم الخنزير وشرب الخمر والرقص والسفور والتبرج والاشتراك في مسابقات ملكات التعري - ملكات الجمال -، وكان تخرج المرأة أولاً

وهي تبدي بعض عورتها، أو ترتدي البنطال، ثم الانتقال إلى الموضوعات الغربية الفاضحة التي تكشف أجزاءً من جسم المرأة، تثير الغرائز الجنسية وتؤجج الشهوات في نفوس الشباب.

٤/ أن يبدأ التغريب بمخاطبة فكر الأمة المسلمة وعقيدتها، عن طريق المأجورين والعملاء من الداخل، ثم يجري داخل العقول والقلوب، وأخيراً ينتقل إلى الأخلاق والتقاليد والعادات الاجتماعية والسلوكية.

٥/ تعتمد خطة التغريب وسائل الإقناع المختلفة، وهي وسائل مدروسة ومخطط لها تخطيطاً علمياً، يشرف عليه علماء النفس والاجتماع، وأجهزة المخابرات، ورجال الإحصاء.

٦/ تستفيد خطة التغريب في إحداث التغيير الاجتماعي من جهود المبشرين، وأعمال المستشرقين، وجهود العلمانيين اللادينيين من أبناء المسلمين.

٧/ إن خطة التغريب تشمل كل نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية، وليست قاصرة على ناحية أو جانب واحد، كي يصبح أبناء المسلمين غربيين في كل مظاهر الحياة، تشمل آداب الطعام والشراب، وآداب اللباس والزينة، ومجال البناء والتعمير، كما تشمل مجال التربية والأخلاق.

٨/ استخدام الشعارات والمصطلحات والعبارات التي تدغدغ العواطف، كالتطور والتقدم والمدنية والرفاهية والحضارة، مع عدم الاصطدام بالمشاعر والأحاسيس، واستخدام مصطلح التقاليد والعادات الموروثة القديمة للدلالة على الأحكام الشرعية التي يجب تركها وعدم التقيد بها.

الأسباب التي أدت إلى تغريب كثير من المسلمين:

١/ وقوع البلاد الإسلامية تحت سيطرة الغربيين فترة طويلة، ومحاولة الاستعمار الأوروبي إحداث التغريب بكل ما يملك من إمكانيات، كما فعلت فرنسا في كل من الجزائر وسوريا ولبنان. فمثلاً ازداد التغريب والتذويب الحضاري أيام الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م، عندما أراد بوناپرت تطبيق الحياة الفرنسية على الأرض

المصرية عبر أفكاره التي تتناقض مع الإسلام عقيدةً وقيماً وأخلاقاً. ومما يؤسف له أنه في يوليو من عام ١٩٩٨م وعلى مدى عامين اثنين احتفل مجموعة من المثقفين المصريين بمناسبة مرور مائتي عام على الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت، وزعموا أنهم لا يحتفلون بالاستعمار، وإنما بالعلاقات الثقافية مع فرنسا، وبالمجمع العلمي والمطبعة التي أدخلها نابليون لأول مرة إلى مصر.

٢/ **تولية الاستعمار الغربي أبناء النصارى والمنافقين من أبناء المسلمين المراكز والمناصب المهمة ذات التأثير في حياتهم.** وقد استطاع الغرب أن يوجد لنفسه فريقاً من العرب المؤمنين بالعلمانية والتغريب، الذين قاموا بتلميع فلسفات ونظريات الغرب اللادينية والترويج لها.

٣/ **الضعف السياسي الذي أصاب المسلمين بعد رحيل عساكر الاحتلال، وفقدان المسلمين الثقة بأنفسهم وبما عندهم.** ولقد وجد أصحاب هذا الدين الإسلامي وأتباعه أنفسهم مبهورين بزخرف القول وحلاوة المنطق الذي صبغ الغزو الفكري العقائدي، كما وجدوا أنفسهم مبهورين حائرين أمام الغزو العسكري المنظم القوي الذي ضم آلات من آلات الدمار والحرب ما كان يحلم أهل الإسلام بها، وبالرغم من الكثرة العظيمة الهائلة للمسلمين في العالم ودخول بعض الأفراد والجماعات في الإسلام - كل يوم وإلى يومنا هذا - فإنّ هذا الدين يفقد مع كل طلعة شمس مواقع جديدة في فكر أهله وعقائدهم، وذلك بفعل الدعاية المنظمة القوية لأهل الدعوات الباطلة الأخرى، وللإعلام الخبيث الموجه إلى عقول المسلمين وقلوبهم، وليس هذا التراجع والهزيمة النفسية عند المسلمين مرده ضعف العقيدة ذاتها، وإنما مرده إلى قوة الرسالة الإعلامية الموجهة من أعداء المسلمين إلى نفوس المسلمين وقلوبهم، وضعف الرسالة الإعلامية الموجهة لهذا الغزو الفكري والعقائدي الخبيث.

٤/ **تخلّف العلوم الإسلامية، وجمود المنهج الدراسي على خطه القديم، ووقوف الفكر الإسلامي عن التجديد والابتكار، ومعالجة شئون العصر.**

٥/ **أخذ المجتمعات الإسلامية بنظم التعليم الغربية، ففي مصر فرض اللورد كرومر المعتمد البريطاني وبمساعدة من القس دنلوب منهج التعليم والتربية الغربي على**

الدارسين، ولقد بقي هذا المنهج سائداً فيها حتى يومنا هذا، وقد تأثرت به كثير من البلدان العربية.

٦/ جهل معظم المسلمين بحقائق الإسلام ومفاهيمه، وقلة الدعاة المخلصين الذين يقومون بواجبهم تجاه هذا الدين وأهله.

مواقف المسلمين من الحضارة الغربية:

اختلفت مواقف المسلمين من الحضارة الغربية على النحو التالي:

الاتجاه الأول: الموقف السلبي (المدرسة السلبية): اتخذ بعض المسلمين موقفاً سلبياً أمام الحضارة الغربية وكل ما انبثق عنها من مؤسسات ثقافية، وهو يدعو إلى عدم الأخذ بشيء من أسباب هذه الحضارة. وفي نظرنا أن هذا الموقف السلبي كان نتيجة سوء تفسير للنصوص الدينية، فالله تعالى حثنا على استعمال العقل والفكر في الكون، واقتباس الصالح المفيد، وإعداد القوة، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ولقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة حفر الخندق حول المدينة حماية لها من الأعداء، وهي فكرة فارسية نافعة، والموقف الراض لكل ما أنتجته الحضارة الغربية يستحيل عملياً لأن طبيعة الأشياء تأباه.

الاتجاه الثاني: الموقف الداعي إلى التغريب (المدرسة التبعية): والأخذ بكل أسباب الحضارة الغربية خيرها وشرها، حلوها ومرها، سواء ما يتعلق بالعلم والصناعة أو ما يتعلق بالثقافة، وأسلوب الحياة الاجتماعية والروحية. إنه الموقف المستسلم للحضارة الغربية والمقلد لها، المؤمن بكل قيمها ومبادئها، وفلسفتها المادية، ونظمها السياسية والاقتصادية. وقد وجد لهذا الاتجاه أنصار ومؤيدون في كافة بلدان المسلمين.

ففي تركيا: كان ضياء كوكب ألب هو الممثل الفكري لهذا الاتجاه، وكانت المؤسسات الرسمية التي تولت السلطة بعد الحرب العالمية الأولى اليد المنفذة له، وكان هدفها واضحاً ومحددًا، وهو إقامة دولة على طراز الدول الأوروبية الحديثة، ففصلت الدين عن الدولة، وأقامت المجتمع التركي على الأسس العلمانية، وأجبرت

الناس على لبس القبعة والملابس الإفرنجية، وأجبرت المرأة على الخروج سافرة متبرجة، ثم عمدت إلى الحروف العربية فأبدلتها باللاتينية وسلخت تركيا عن كل صلة بتاريخها الإسلامي. ولكن تركيا لم تكسب من تقليدها للغرب شيئاً مقابل ما فقدته وتخلّت عنه.

وفي الهند: حمل لواء التغريب أحمد خان والمدرسة الفكرية التي أسسها في عليكرة، حيث دعا إلى تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية، واقتباس العلوم العصرية، بحذافيرها وعلى علّاتها، وتفسير القرآن الكريم ومفاهيم الدين وفق ما وصلت إليه الحضارة الأوروبية، وأصدر أحمد خان في ذلك تفسيراً سماه "تبيان الكلام" فسّر فيه القرآن الكريم على صورة تطابق هواه وأهواء أسياده الغربيين وآرائهم.

وفي مصر: كان الاتجاه إلى التغريب قوياً ومتحمساً، والحق أن مصر كانت بيئة صالحة لهذه الدعوة ولجميع دعوات الاستشراق، لدرجة أن كل فكرة ودعوة غربية أوروبية مسّت الدين بسوء وجدت لها أنصاراً ودعاة من المصريين أنفسهم، ومن ذلك: فكرة فصل الدين عن الدولة، وإنكار حجية السنة النبوية، والدعوة إلى ما يُسمى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، والدعوة إلى ترك المرأة للحجاب والخروج سافرة متبرجة، والدعوة إلى العامية، واستخدام اللاتينية بدل العربية الفصحى، والدعوة إلى الفرعونية والقومية والاشتراكية إلى غير ذلك من الدعوات الهدامة.

ويعتبر الدكتور طه حسين من أبرز الشخصيات المصرية في الدعوة إلى التغريب، ومن أكثرها إلحاحاً في الأخذ به، كما أنه من المغالين في ذلك، وقد ضمن آراءه التغريبية في كتابه: "مستقبل الثقافة في مصر"، ففيه زعم أن مصر ذات صلة بأوروبا أكثر من الشرق، وأن الثقافة المصرية جزء من الثقافة الغربية الأوروبية، وأن الحياة المصرية المادية حياة أوروبية، وأن المثل الأعلى للمصري في حياته المادية إنما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية، سواء كان في نظام الحكم أو نظام التعليم.

الاتجاه الثالث: اتجاه تطوير الإسلام والتوفيق بينه وبين الثقافة الغربية (المدرسة التوفيقية)، من خلال تقريب مبادئ الإسلام ومفاهيمه من الحضارة الغربية، وتصيّد الأدلة على ذلك من أقوال مفكري الإسلام.

ويعدّ الشيخ محمد عبده من مناصري هذا الاتجاه والداعين إليه، لقد قام الرجل باعتماد أسلوب جديد يعتمد على توضيح الإسلام والدفاع عن الثقافة الإسلامية والتأكيد على أنه دين التطور والتجديد، وأنه لا يتعارض مع المدنية الحديثة، وعلى هذا الأساس انطلق الشيخ إلى مهاجمة التقليد، والدعوة إلى الاجتهاد وتطوير الإسلام، وإعادة النظر في وضع المرأة في المجتمع: الحجاب، الحد من تعدد الزوجات، الحد من حرية الطلاق والمناداة بالوطنية والقومية، والعمل على الأخذ بالنظام السياسي الغربي، والعناية بالتاريخ السابق على الإسلام.

ومن الداعين إلى اتجاه التطوير قاسم أمين داعية تحرير المرأة، وعلي عبد الرازق وسعد زغلول، وهما من دعاة الوطنية والقومية، والعناية بالتاريخ الفرعوني والأخذ بالنظام السياسي الغربي بحجة واهية، وهي أن الإسلام دين لا دولة ولا حكم.

الاتجاه الرابع: وهو الذي يتمثل في الدعوة إلى احتفاظ المسلمين بهويتهم الإسلامية وشخصيتهم المستقلة المتميزة حسب القرآن والسنة (المدرسة الانتقائية)، والمحافظة على الفكر الإسلامي في منابعه الأصيلة، وإعادة تماسك الجماعة الإسلامية، مع الاستفادة من خير ما أنجزته المدنية الغربية والعلم الغربي، مع عدم الأخذ من الثقافة نفسها إلا ما كان منها لا يتعارض مع هوية الأمة الإسلامية وشخصيتها وثقافتها الأصيلة.

إن أصحاب هذا الموقف يرون ضرورة مواجهة الحضارة الغربية وتحديها بشجاعة وإيمان، ومعاملة هذه الحضارة كمادة خام يستفاد منها للخير أو للشر، وهو موقف الفحص والتمحيص والنقد والاختيار، فالمسلم كما يرون صاحب عقيدة ورسالة وثقافة ومنهج في الحياة، وعليه أن يحمل رسالته الربانية للناس جميعاً، وعليه أن يجمع بين حسنات ما عنده وحسنات ما عند الآخرين، فالنافع والصالح

يبحث عنه ويأخذ به، مع المحافظة على الأصول الإسلامية، ولقد قام علماء هذا الاتجاه بنقد قوي جريء لحضارة الغرب وثقافته ومواجهتها وجهاً لوجه.

ويمثل هذا الاتجاه الحركات والجماعات الإسلامية في البلدان الإسلامية، ويمثله المفكرون والعلماء الذي نقدوا الثقافة الغربية، وأعادوا الثقة بالثقافة الإسلامية ومنابعها الأصيلة.

ففي الهند: تمثله ندوة العلماء التي يرأسها الشيخ أبو الحسن الندوي، وفي باكستان الجماعة الإسلامية التي أسسها المفكر الكبير أبو الأعلى المودودي الذي ألف عدة كتب في نقد الحضارة الغربية من أشهرها "نحن والحضارة الغربية". وفي مصر وغيرها من البلدان العربية: يمثل هذا الاتجاه "حركة الإخوان المسلمين" التي أسسها الشيخ حسن البنا، وفي الجزائر: يمثل هذا الاتجاه "جمعية العلماء الجزائريين" التي كان الشيخ عبد الحميد بن باديس ثم الشيخ البشير الإبراهيمي من أهم رجالها، وفي أندونيسيا: "حركة ماشومي"، وفي تركيا: "الحركة النورية" التي أسسها الشيخ سعيد النورسي، و"جماعة العدالة والتنمية"، وفي باكستان: "الجماعة الإسلامية" التي أسسها أبو الأعلى المودودي، ويمثلها أيضاً اليوم جمع كبير من المفكرين والدعاة، الذين لهم دور بارز في الصحو الإسلامية المعاصرة.

وسائل التغريب:

اتخذ التغريب وسائل عدة من أجل جعل المسلم غربياً في أخلاقه وسلوكه، غربياً في حياته الاجتماعية، وغربياً في حياته الفكرية والسياسية، ومن هذه الوسائل: العلمانية: والتي تعني فصل الدين عن الحياة، ومكايد تغريب المرأة المسلمة، والدعوة إلى القومية والوطنية، وسنتناول بالحديث عن العلمانية والمرأة، كون كل من القومية والوطنية استنفذتا أغراضهما في التغريب، وانتهتا.

الجانب الأول

العلمانية

العلمانية لغةً:

لم ترد كلمة علماني بحروفها في معجم عربي قديم أو حديث، قبل المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية عام ١٩٦١م، جاء فيه: العلمانية نسبة إلى العَلَم بمعنى العَالَم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي.

ومن المعاجم الحديثة التي جاءت فيه كلمة علماني معجم "المعلم البستاني"، جاء فيه: العلماني: العامي الذي ليس بأكليريكي. ومعجم العربي الحديث (لارهس) للدكتور خليل الجسر، جاء فيه: علماني: ما ليس كنسياً ولا دينياً.

إنَّ الترجمة الصحيحة لكلمة العلمانية هي اللادينية أو الدنيوية، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب بل بمعنى أخص هو: ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد. وتتضح الترجمة الصحيحة لكلمة علمانية من خلال التعريفات التي وردت في دوائر المعارف والمعاجم الأجنبية الغربية للكلمة. هذا ما نتعرض إليه في بيان المعنى اصطلاحاً.

يرى الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن ضبط كلمة "علماني" بكسر العين "علماني" لا سند له من لغة أو تاريخ، بل هو مجرد إقرار لخطأ شاع بين طوائف المتقنين غير المباليين بسلامة نطق الكلمة. ووافقه الدكتور عبد الصبور شاهين - الخبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة - فقال: إنَّ كلمة "العلمانية" بفتح العين هو الأصوب، وعليه درجت معظم المعاجم قديماً وحديثاً، إذ لا علاقة بين العلمانية والعلم بكسر العين، لا من حيث الضبط ولا من حيث الدلالة.

العلمانية اصطلاحاً:

إذا كانت كلمة العلمانية غريبة في لغتنا العربية، وقد أتت إلينا من اللغات الأوروبية فإنه يجدر بنا أن نتعرف على المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة من المصادر الغربية الأجنبية.

١/ جاء في دائرة المعارف الأمريكية عند الحديث عن العلمانية، الدنيوية هي: نظام أخلاقي أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية، ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة.

٢/ جاء في دائرة المعارف البريطانية تحت مادة: secularism هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها... وظل الاتجاه إلى الـ "secularism" يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.

٣/ يقول معجم "أكسفورد" في شرحه لكلمة secular:
أ- دنيوي، أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً، مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.
ب- الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية.

الخلاصة:

يمكننا تعريف العلمانية بأنها: (عدم المبالاة في الدين، وجعله حبيساً في صدور الأفراد وزوايا دور العبادة دون أن يسمح له بالتدخل في الحياة السياسية أو العامة).

العلمانية والدين:

إنَّ معنى الكلمة كما سبق بيانه في دوائر المعارف والمعاجم الأجنبية: ما ليس ديني، وكل ما ليس ديني هو لا ديني. ولكن اختيرت كلمة علماني أو مدني لأنها أقل إثارة من كلمة لا ديني.

إنَّ علاقة العلمانية بالدين قائمة على أساس نفي الدين والقيم الدينية عن الحياة، وأنه من الأولى الترجمات في اللغة العربية أن نسميها "اللا دينية"، بصرف النظر عن دعوى العلمانيين في الغرب وأتباعهم في العالم الإسلامي الذين يزعمون بأن العلمانية لا تعادي الدين، وإنما تبعده فقط عن مجالات الحياة الواقعية: السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية... الخ، وتترك للناس حرية التدين بالمعنى الاعتقادي الفردي على أن يضل التدين مزاجاً شخصياً لا دخل له بأمور الحياة العملية، بصرف النظر عن هذا الاعتراض الذي لا يتطابق مع المفاهيم الإسلامية،

فإن "اللاينية" هي أقرب ترجمة تؤدي المقصود من الكلمة عند أصحابها، إنها تعبر عن المقصود دون أن تصدم مشاعر وأحاسيس المسلمين فترجمة الكلمة إلى لفظ العلمانية يدل على خبث مقصود، يوجب على أهل العلم والمعرفة تعريته وبيانه.

العلمانية والعلم:

وهو ما يمكن بيانه فيما يلي:

١/ لا صلة بين لفظ العلمانية ولفظ العلم من حيث الاشتقاق، سواء في اللغة العربية أم في اللغة الإنجليزية والفرنسية، فأصل كلمة علمانية من العلم بفتح العين وسكون اللام، أما العلم من علم بفتح العين وكسر اللام.

٢/ لا صلة بين لفظ العلمانية ولفظ العلم من حيث الترجمة فالعلمانية ترجمة خاطئة لكلمة secularism، بخلاف العلم.

٣/ لا صلة بين لفظ العلمانية ولفظ العلم من حيث المعنى، فالعلمانية معناها إبعاد الدين عن مجالات الحياة، وفصل الدين عن الدولة والمجتمع، وقيام الدولة وحياة المجتمع على أسس دنيوية، لا صلة لها ألبته بالأنظمة والتشريعات الدينية.

وأما العلمية فهي وجهة تنتسب إلى العلم وتحتكم إليه في كل مجالات الحياة وجوانبها، أو هي وصف للاتجاهات التي تركز في الدراسة والبحث على المنهج العلمي، وهذه الاتجاهات هي الوصف والشرح والتحليل، في ضوء الملاحظة والتجربة والاستقراء.

العلمانية إذاً منهج حياة يبعد الدين عن أن يكون مصدراً للتشريعات والأنظمة والأحكام التي تنظم شؤون الدولة والمجتمع، والعلمية إذاً: اتجاه يحاول معرفة القوانين التي تعمل عليها أو بمقتضاها الطبيعة.

٤/ لا صلة بين لفظ العلمانية ولفظ العلم من حيث النسبة فنقول علمانية وعلماني وعلمانيون، أما العلم فنقول علم وعلمية وعلميون وعلماء.

٥/ لا صلة بين لفظ العلمانية ولفظ العلم من حيث النشأة، فالعلماني حديثة المنشأة في حين العلم قديم ضارب في التاريخ.

العلمانية والنظام السياسي:

يعدُّ النظام الديمقراطي هو الممثل للعلمانية في الجانب السياسي، في المجتمعات الغربية، ولما تمَّ عزل الدين في الغرب عن السياسة، تمَّ تصدير النظام الديمقراطي لمعظم دول العالم الإسلامي. ولذا فلا بدَّ أن نتعرف هنا على هذا النظام الوافد، ونبيِّن أهم عيوبه، ومخالفاته للإسلام كمنهج حياة، ومنه النظام السياسي في الإسلام الذي يميَّز عن غيره من النظم التي عرفتْها البشرية قديماً وحديثاً.

الديمقراطية لغة: كلمة الديمقراطية ليست عربية في أصولها، بل هي مصطلح يوناني الأصل، مكون من كلمتين، أُضيفت أحدهما إلى الأخرى. أولاهما: ديموس ومعناها الشعب. وثانيهما: كراتوس، ومعناها الحكم أو السلطة. فالكلمة معناها إذاً: حكم الشعب أو سلطة الشعب.

الديمقراطية اصطلاحاً:

هي: نظام سياسي من أنظمة الحكم الذي يكون فيه الشعب هو صاحب الحكم أو السلطة، أي سلطة إصدار القوانين وسن التشريعات. وتطلق الديمقراطية على النظام السياسي الذي يكون فيه الشعب رقيباً على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية، ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين وسن التشريعات. وبهذا يتبيَّن أن الديمقراطية هي الوجه السياسي للعلمانية، التي ترى فصل الدين عن السياسة.

العلمانية والجانب الأخلاقي:

الأخلاق قوام الأمة القوية، وسياج المجتمع الفاضل، والأخلاق في الإسلام لها وزنها ومكانتها، والله تعالى شرع كثيراً من الأحكام لصيانتها والمحافظة عليها. والأخلاق والفضائل مصدرها عند المسلمين دين الله عز وجل.

والعلمانية قد تسمح بالأخلاق والفضائل وترحب بها، لكن نجد تصادماً بين الإسلام والعلمانية في موضعين:

الأول: مجال العلاقة بين الرجل والمرأة:

إنَّ الإسلام يضع من الأحكام والتشريعات والتوجيهات التي تضبط هذه العلاقة وتنظمها، ويبعد عنها كل عوامل الانحلال، فلقد جعل الله تعالى الزواج المشروع طريقاً لإشباع الغريزة الجنسية، ووسيلة لتكوين الأسرة على أساس من المودة والرحمة، وحرم الله تعالى كل اتصال جنسي خارج دائرة ما أحله وأباحه. فالزنا حرام، وكل وسائله والطرق التي تؤدي إليه حرام: كالتبرج والسفور، وخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية، والنظر إليها بشهوة، والأغنية الخليعة، والصورة المثيرة، والقصة الخليعة ونحوها مما يثير الغرائز الجنسية.

بينما العلمانية تسمح بكثير من هذه الرذائل تحت عنوان الحرية الشخصية، والتقدم وحضارة القرن العشرين، وتعتبر أن أحكام الإسلام في هذا الشأن متزمتة لا تتناسب روح العصر والمدنية، بل وتشعر العلمانية من القوانين التي تحمي الرذيلة ودعاتها، وتدافع عن الساقطين في أحوالها.

الثاني: إن العلمانية ترفض بشدة أن تربط الأخلاق بالدين:

إنَّها لا ترى أنَّ الدين ينبوع الأخلاق والفضائل، بل تقيمها على أساس فلسفي أو عملي، ولقد نقلنا سابقاً من المعاجم الأوروبية عند الحديث عن معنى العلمانية اصطلاحاً ما يبين نظرة العلمانية للأخلاق. جاء في المعجم الدولي الثالث الجديد: "العلمانية نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والأخلاقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين"، وجاء في معجم (أكسفورد): "الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية".

أسباب العلمانية في العالم الإسلامي:

يمكن إيجاز أسباب العلمانية في العالم الإسلامية فيما يلي:

أولاً: الأسباب الداخلية:

ونريد بها: العوامل التي تتعلق بداخل المجتمع المسلم وهيأت الأجواء داخله لتقبل العلمانية.
ومن أهمها:

١/ انحراف الأمة الإسلامية في فهم الإسلام:

لقد أصاب الأمة الإسلامية انحراف عن فهم الإسلام كدين شامل لجميع جوانب الحياة، وانحسر مفهومه في حس المسلمين وتصوراتهم في معانٍ ضيقة ومدلولات محدودة. والانحراف الأشد كان في العقيدة والتصور، انحسر في حس المسلمين وتصوراتهم مفهوم كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" فإنَّ العبودية لله وحده، والإقرار بحاكميته والالتزام بشرائعه، وعدم الالتفات إلى غيره من المعبودات. نسي المسلمون تلك المعاني، وغفلوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٢/ تخلف العالم الإسلامي:

لقد شهد العالم الإسلامي طفرة من النشاط الفكري الذي لم يشهد له العالم مثيلاً، وقد أثمر علوماً عديدة في مختلف الميادين، في الطب، في الهندسة، وعلم الفلك، وفي مجال الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، وعلم الاجتماع والعمران، وغيرها، لكن سرعان ما بدأ التخلف، خاصة مع ابتعاد المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم، وانصراف حكامهم إلى شهواتهم ومصالحهم الشخصية مع خضوعهم للسياسات الاستعمارية.

ثانياً- الأسباب الخارجية:

ونريد بها: العوامل التي تتعلق بخارج المجتمع المسلم وعملت على تهيئة الأجواء داخله لتقبل العلمانية بالقهر والغلبة أو بالأساليب الناعمة. ومن أهمها:

١/ نهضة أوروبا المادية مع العلمانية:

عرفنا أنَّ الكنيسة ورجالها كانوا يناصبون العلم والعلماء العداء، وبعد سقوط الكنيسة وانحسارها بين جدرانها، وفصل دينها عن الدولة شهدت أوروبا نهضة علمية ومادية، وقد أحدث هذا الأمر شعوراً بأن التقدم العلمي مرتبط بإقصاء الدين ونبذ، وإلا فلم نهضت أوروبا وتقدمت مادياً.

لكن الدارس المنصف لحركة تاريخ أوروبا المعاصرة يستيقن بأن أوروبا بدأت تفريق وتنهض بعد احتكاكها بالمسلمين في الحروب الصليبية، وبتصالها بمراكز العلم والثقافة في الأندلس والشمال الأفريقي وصقلية وغيرها، وأمّا الدين الذي نبذته أوروبا وفصلته عن الدولة فليس له صلة بالدين الحق المنزل من رب العالمين، إنه دين الخرافات والأساطير والطلاسم، إنه الدين الذي اغتال العلم والعلماء. أما الإسلام فبريء من الصورة القاتمة لهذا الدين الذي عرفته أوروبا.

٢/ التخطيط الصليبي اليهودي:

لقد بدأ التخطيط الصليبي اليهودي معاً لإخراج الأمة الإسلامية من دينها، وتعريضها من مقومات وجودها، وحملها على العلمانية، واعتمدت الخطة على عدة أجنحة هي:-

الأول: الاحتلال العسكري المباشر: وتتلخص جهود هذا الجناح في النقاط التالية:-
أ- تقطيع أوصال الخلافة، بالاحتلال العسكري لمناطق إسلامية تخضع لنفوذ دولة الخلافة العثمانية، وقد صاحب هذا الاحتلال إشاعة الانحلال الخلقي، والفساد الاجتماعي، وإثارة الشبهات والشكوك حول مفاهيم وعقائد الإسلام، وغزو العقول بالنزعات الجاهلية.

ب- إسقاط دولة الخلافة وإسقاط الخلافة الإسلامية، وقد كان ذلك من عمل البطل العلماني الذي أعد للقيام بهذه المهمة، ألا وهو الماسوني مصطفى كمال أتاتورك.

ج- القضاء على الحركات الإسلامية الجهادية كحركة المهدي في السودان، وعمر المختار في ليبيا، وعبد القادر الجزائري، وعبد الكريم الخطابي في المغرب الأقصى، وإسماعيل الشهيد في الهند.

د- هدم الشريعة الإسلامية وإحلال القوانين الوضعية الغربية محلها، وإلغاء المحاكم الشرعية، وإقامة المحاكم المختلطة، والمحاكم الأهلية التي تحكم بالقوانين البريطانية، والفرنسية والسويسرية، والإيطالية.

هـ- القضاء على التعليم الإسلامي والأوقاف الإسلامية.

و- إحياء النعرات والدعوات الجاهلية، وإيجاد وإحياء الطوائف غير الإسلامية ثم استخدامها في القضاء على الإسلام والمسلمين، ومن هذه الطوائف: البابية، والبهائية والقاديانية، والنصيرية، والصوفية القبورية.

ي- اصطناع العملاء وإيجاد المأجورين من أبناء المسلمين، ثم استخدامهم معاول هدم للإسلام من الداخل.

الثاني: المبشرون والمستشرقون: لقد نقل المستشرقون والمبشرون العلمانية إلى العالم الإسلامي من خلال كتبهم ومؤلفاتهم، ومن خلال المدارس المختلفة التي أقاموها في المنطقة، وقد تحدثنا فيما سبق عن أساليب القوم في القضاء على الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم.

الثالث: نصارى العرب: إن نصارى العرب هم أول من دعا إلى العلمانية بشعاراتها الصريحة، وتحت أسماء أخرى، وخاصة الذين تربطهم صلات استعمارية بالغرب الأوربي، فهؤلاء حركهم حقدهم على الإسلام وشريعته العادلة، كي يقوموا بإنهاء هيمنة الشريعة على الحياة الإسلامية، وإحلال الأنظمة الغربية اللادينية محلها.

الرابع: العملاء والمأجورون: وهؤلاء هم أخطر الأجنحة، فالخارجون عن دينهم وأمتهم، والبايعون أنفسهم لأعداء الإسلام بثمن بخس دراهم معدودة أو مناصب موعودة، أو شهوات ومتع مبذولة هم معاول هدم من الداخل، إذ يحملون ألقاباً

علمية، ويحتلون مراكز التوجيه في بلادهم ويرتدون ثياب الوطنية، ويقومون باستيراد المبادئ والأفكار الأوروبية التي تعادي الإسلام عقيدة وشرعية، ثم يعرضونها بأقلامهم ولغاتهم الوطنية، يخاطبون بها عقول وقلوب الناشئة والجيل الجديد من أبناء المسلمين، والأجراء طبقات وأصناف: منهم السياسيون الذين يفرضون على شعوبهم قوانين الأوروبيين وأنظمتهم المناقضة لشرائع الدين وأحكامه ومنهم رجال المال الذين أقاموا المؤسسات المالية الربوية، ومنهم المبتعثون العائدون من بلاد الغرب وهم يحملون أفكاره وفلسفته، وعاداته وتقاليده.

الخامس: الماسون العرب: دخلت الماسونية العالم الإسلامي قبل دخول الاستعمار البريطاني العسكري، من خلال الجهود الذي بذلها الإفرنج وأعوانهم من السياسيين ومن أبرزهم: حاكم مصر محمد علي باشا، ثم أبنائه من بعده، ومن أبرزهم خديوي مصر، ومن العاملين على نشرها شاهين مكاريوس أحد أصحاب مجلة المقطم وصاحب امتياز مجلة اللطائف التي أنشئت عام ١٨٨٦م لتكون أعلى أبواق الدعاية للماسونية والإلحاد في مصر. وعملت الماسونية على تميع فعل الدين في النفوس، وقتل آثاره في نفوس أتباعه، يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "فلم يكن لها من ثمرة إلا إعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين، والاستغناء عن الشرع بالقوانين، والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم، وموالاتهم لهم".^(١)

وسائل علمنة المجتمع:

لقد سلك أعداء الدين من الغربيين وعملائهم في ديار الإسلام وسائل عدة في علمنة المجتمعات والدول الإسلامية وفصل الدين عن السياسة والاجتماع والأخلاق والحياة الثقافية وغيرها، وأهم هذه الوسائل:-

أولاً: علمنة التعليم:

يعد التعليم من أكبر السبل التي عمل من خلالها أعداء الإسلام على علمنة المجتمع الإسلامي، يقول المستشرق البريطاني جب: "التعليم أكبر العوامل التي تعمل للاستغراب، والحق أنه العامل الوحيد، إن فهمنا من كلمة التعليم ما تدل عليه، ... إن إدخال طرائق جديدة في الفكر في البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاماً جديداً في التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال إلى الدراسات العليا..."^(١).

ويتباهى الدكتور طه حسين-أحد تلامذة المستشرقين- الذي تولى يوماً منصب وزير التربية والتعليم- بسلوك المنهج الأوربي في التعليم فيقول: "التعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه ووضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوربي الخالص، وما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نكوّن أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوروبياً لا تشوبه شائبة".

ومرّت عملية علمنة التعليم بخطوات مرحلية ومدرسة، وأهمها:-

١/ حصار التعليم الديني مادياً ومعنوياً، وتطويره من الخارج وتطويره من الداخل: بهدف تجهيل المسلمين بدينهم وصرفهم عنه، وتصويره بأنه دين يتسم بالتخلف والجمود وعدم مواكبة التطور الحضاري المعاصر. والتطويق من الخارج من خلال ما يلي:-

أ. الازدراء بالتعليم الديني، والسخرية والاستهزاء من معلميه وطلابه، من خلال الكلمة السيئة، والمسرحية والفيلم والتمثيلية السخيفة.

ب. قفل الوظائف المهمة أمام خريجي المعاهد والكلديات الشرعية، وقصر هذه الوظائف على خريجي التعليم العلماني، وقصر وظائف الكلديات الشرعية على الوعظ والمأذونية والتدريس وإمامة الناس في الصلاة.

ت. الاستهزاء من علماء الإسلام الذين عرفوا بتقواهم وعلمهم وجراتهم في قول الحق.

١- الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ١٠٥-١٠٦.

والتطوير من الداخل: وذلك من خلال:

أ- تقليل ساعات مادة التربية الدينية، وإسناد تدريسها إلى غير المتخصصين.
ب- تميع المنهج، واقتصاره على القشور، واحتوائه على التعقيد وعلى المفاهيم المغلوطة.

ج- جعل مادة الدين مادة ثانوية لا قيمة لها، وجعل حصتها آخر الحصص في اليوم الدراسي، حيث يشعر الطلاب بالملل.

د- إصدار قوانين تطوير الأزهر بدءاً من سنة ١٩٣٦م - ١٩٦١م، وكان اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر قد أوصى سنة ١٩٠٦م بتطوير الأزهر - بتخريب- وإبعاده عن رسالته السامية التي تتمثل في تنوير المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية شاملة، وإشاعة الفكر الإسلامي في ربوع البلدان الإسلامية، وتزكية روح المقاومة للاستعمار الصليبي واليهودي.

١- **تطوير المناهج التعليمية وحشوها بالفكر اللاديني:** ويشمل هذا التطوير كل ما يتصل بمناهج الدين والأدب والتاريخ والفلسفة والعلوم، وهدف هذا التطوير خدمة الفكر اللاديني، وذلك من خلال حشو المناهج بالأفكار والفلسفات المعادية للعقيدة الإسلامية دون نقد أو تمحيص، بل بأسلوب تقريرى توكيدي: ومن ذلك نظرية دارون في أصل الإنسان، وأفكار فرويد في علم النفس، وإميل دوركايم في علم الاجتماع، وآدم سميث في الاقتصاد، والفلسفة الوثنية الإغريقية، وأيضاً: تشويه تاريخ المسلمين وحضارتهم مع تمجيد وتقديس حضارة الجاهلية الأوروبية.

٢- **الابتعاث إلى الخارج:** لقد تم ابتعاث عدد لا بأس به من خريجي المدارس الحكومية والأجنبية إلى دول الغرب الصليبي، أو الشرق الشيوعي، للتخصص في فروع العلم والمعرفة، من أجل تحصيل الشهادات العليا، ثم إضفاء الاحترام والهيبة لأصحابها، مع أنهم عادوا وهم يحملون في عقولهم وأذهانهم فكر وثقافة الغرب اللادينية، ويتم تسليم هؤلاء العائدين من الابتعاث المناصب والمراكز المهمة في المجتمع.

٣- السماح للمدارس والجامعات الأوروبية والأمريكية بفتح أبوابها في ديار المسلمين: انتشرت في كثير من ديار الإسلام المدارس والكليات والجامعات الأجنبية التي فتحت أبوابها لأبناء المسلمين، وقد أطلقت أيدي المبشرين والمستشرقين في وضع برامج ومناهج التعليم فيها، لقد خرّجت هذه المؤسسات التعليمية جيلاً لا صلة له بالدين ولا بالأخلاق، حيث تعلم هذا الجيل اللغات الأوروبية والتقاليد والأخلاق اللادينية، وأصبحوا معاول هدم في داخل مجتمعاتهم، ويندر أن تجد زعيماً أو زعيمة ممن تصدروا لقيادة التغيير الاجتماعي ونشر روح الإلحاد واللاينية إلاّ وهو خريج هذه المدارس والجامعات أو هو متزوج بخريجة منها. يقول المعتمد البريطاني كرومر: إن الإسلام بطبيعة تعاليمه عدو للحضارة الأوروبية، وأن المسلم غير المتعلق بأخلاق الأوروبيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الأيام، لذلك سيكون المستقبل الوزاري للمصريين المترين تربية أوروبية.

وعن آثار المدارس الأجنبية في حياة المسلمين يقول المستشرق الإنجليزي جب: "فقد انتشرت في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية، ولاسيما تركيا وسوريا ومصر، ترجع غالباً إلى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة... هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكوّنت ذوقهم، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفّذت هذه الخطة إلى أبعد من ذلك، بإنماء التعليم العلماني تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند".

٤- الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم: قام العلمانيون المتأثرون بالثقافة الغربية بالتقليل من خطورة الاختلاط وآثاره المدمرة للقيم والأخلاق، وزعموا أنه من ضرورات التقدم والتمدين، وتعميق الصداقة البريئة والروح الجامعية.

جاء في أحد الكتب التي تصدرها مؤسسة "فرنكلين الأمريكية" التي تنشرها في بعض الدول الإسلامية "إن خروج الفتيات في صحبة الفتیان من الأمور الطبيعية

التي يستطيع معظم الآباء تقبلها في الوقت المناسب على أي حال، باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق... وفي كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفزه على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسه أو ضغط يده أو قبلة... والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة أمر طبيعي... فالشوق إلى القبلة، أو بعض الغزل الرقيق، أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية... هذه ليست أموراً شائعة^(١). والاختلاط يصاحبه خلع الفتاة المسلمة حجابها، والكشف عن مفاتها ومحاسنها، تحت دعوى الحرية والتمدين والتحرر.

٥ - اقتباس الأنظمة والمناهج الغربية اللادينية، واقتباس أسلوب التربية وفلسفة السلوك الغربية: ومن ذلك: إدخال التمثيل والرقص والتصوير والفنون الخليعة ضمن مناهج التعليم، وتدرّس النظريات والفلسفات التربوية الأوروبية ذات التوجيه اللاديني والأخلاقي. لقد أنشأ التعليم العلماني جيلاً فارغاً من العقيدة والخلق، محطّم الشخصية والكيان مزعزع الثقة بالتاريخ والأمجاد، جيلاً يدعو إلى التحرر من الأصالة الإسلامية، والارتقاء في أحضان الغرب الصليبي، أو الشرق الملحد.

ثانياً: علمنة الإعلام:

يعدّ الإعلام من الوسائل الناجحة في تبليغ دعوة الله عز وجل، وإشاعة الخير في الأمة، وتعليم الناس ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فوسائل الإعلام تخاطب عقول وقلوب الناس، وتعتمد في ذلك على الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية، وكذا تعتمد على الصورة المرئية في الصحافة والتلفزيون والسينما والمسرح والفيديو والإنترنت، وقد دخلت وسائل الإعلام كل بيت، وجلس إليها جميع الناس على اختلاف أعمارهم ودرجاتهم الثقافية والاجتماعية، ولا يكاد يسلم منها أحد. وقد تمّ توظيف السينما والتلفزة من خلال بثّ مئات من الأفلام السينمائية الغربية التي تحاول تشويه صورة الإسلام والمسلمين؛ ويومياً تبثّ القنوات الفضائية عشرات المسلسلات والبرامج التلفزيونية التي تكرر فكرة تخلف المسلمين.

١ - حصوننا مهددة من الداخل د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الفكرية المعاصرة هامش ص ١٠٩.

ومن صور العلمنة في وسائل الإعلام:

١- المجالات النسائية التي تصدر في معظم البلاد الإسلامية، تنتشر هذه المجالات صور النساء في أوضاع تخدش الحياء والكرامة، وتثير في الشباب الشهوات، وتقوم بنشر التحقيقات الصحفية والمقالات السيئة التي تحبذ الفجور والاختلاط، وممارسة المنكرات وتزين الانحلال الخلقي، تحت دعاوى التمدين والتقدم، وإتباع الحضارة.

٢- القصص الخليعة التي تدعو إلى ممارسة الجريمة الخلقية، وارتكاب الفسوق مع التهوين من شأنه، وإطلاق الأوصاف الحسنة على الفاعلين، واستخدام الكلمات المثيرة في هذا الجانب. والفضائيات الإباحية ودورها في اقتلاع جذور كل ما هو إسلامي في المجتمع.

٣- شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ودورها في إضاعة الأوقات، والتعرف على صحبة السوء، وزعزعة العقائد والتشكيك فيها. وتدمير الأخلاق، ونشر الرذائل. والتعرف على أساليب الإباحية والفجور. ومن ثم الغرق في أحوال الدعارة والفساد. والتجسس على الأسرار الشخصية.

٤- تمجيد أهل الفن والخلاعة والهوى باعتبارهم القدوة الحسنة للشباب والفتيات.

٥- تشويه صورة المسلمين التاريخية الغابرة والحاضرة من خلال الأفلام والتمثيلات حيث تصور الأحداث التاريخية على غير حقيقتها، ويشترك أهل الخلاعة في تمثيل أدوار الصحابة والتابعين والخلفاء والأمراء المسلمين، ويلاحظ المتابع للمسلسلات التمثيلية قصص الحب وعلاقات الغرام المحرمة التي لا تكاد يخلو منها مسلسل تمثيلي.

٦- نشر الافتراءات والأكاذيب حول الأحكام الشرعية والمبادئ الدينية عبر التحقيقات الصحفية والأحاديث الإذاعية، فمثلاً تم تشويه فريضة الحجاب الشرعي، باتهام المحجبات بالتستر وراء الدين، أو الزعم بمنافاة الحجاب لروح العصر والحضارة والتمدين، وأن ارتدائه دلالة على التخلف والرجعية.

٧- الدعوة إلى الاختلاط في المدارس والجامعات والمؤسسات العامة، والمطالبة بحقوق المرأة في التحرر، والخروج من عصر الجمود والتخلف، ومحاولة ربط التخلف العلمي والمادي بالتمسك بالدين، والدعوة إلى الأفكار والمناهج الغربية.

٨- الغناء والموسيقى ودورهما في إفساد عقول وقلوب وأذواق أبناء المسلمين، من خلال ما تبثه الأغاني من سمومها النفاثة القاتلة.

٩- الهجوم الشديد على الدعاة والعلماء المسلمين، وتشويه صورتهم، والسخرية منهم بهدف إبعاد الناس عن منارات الهدى والخير، ودعاة إقامة دين الله تعالى في الأرض.

١٠- نشر آراء وأفكار المبشرين والمستشرقين الحاقدين على الإسلام، مع تمجيدهم وتمجيد كتاباتهم.

ثالثاً: علمنة التشريع:

بقيت الشريعة الإسلامية -بمعناها القانوني- تحكم المجتمعات الإسلامية أكثر من ألف عام، وتلبي حاجات المجتمعات، وتساير قضاياها المتجددة، ظلت الشريعة بأصولها وأنظمتها شامخة راسخة، لا تدانيها اجتهدات العقول، ولا تقاربها تجارب أوروبا القانونية، ولكن نتيجة غفلة المسلمين وبجهود الغزاة المستعمرين وعملائهم من أبناء المسلمين طردت الشريعة الإسلامية من ميادين الحياة، ووضعت مكانها شتاتاً من شرائع الكفار وقوانينهم، وتعرضت الشريعة الربانية لحملة ظالمة من التشكيك في صلاحيتها، ورميها بالجمود والتعصب، والتخلف عن مسايرة الحياة.

- وتعتبر الهند أول قطر إسلامي تم فيه إلغاء الشريعة الإسلامية من قبل الاستعمار البريطاني، إذ اتبع أسلوب التدرج في الإلغاء، وفي أواسط القرن التاسع عشر لم يبق من أحكام الشريعة سوى ما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق -ما يعرف بالأحوال الشخصية- وعلى منوال صنيع الإنجليز في الهند نسجت الحكومات الوطنية العميلة في العالم الإسلامي.

- وفي تركيا: أدت الامتيازات الأجنبية إلى تغلغل القوانين والتشريعات الوضعية الغربية داخل دولة الخلافة، فأنشأت المحاكم الخاصة برعايا الدول الأجنبية، ثم أنشأت المحاكم المختلطة والمحاكم التجارية، وأصدرت القوانين الوضعية. وعقب هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى أملى الاستعمار الغربي عليها شروطه الظالمة التي تمس الإسلام وسيادته وشريعته، والخلافة الإسلامية، ومن هذه الشروط: أن تختار تركيا لنفسها دستوراً مدنياً لا دينياً بدل الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية.^(١)

ومع إلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، تمّ إصدار قانون مدني مستمد من القانون السويسري، وقانون جنائي مستمد من القانون الإيطالي، وقانون تجاري مستمد من القانون الألماني.

- وفي مصر: أنشأ الخديوي إسماعيل المحاكم المختلطة عام ١٨٧٥م التي تحكم بالقانون الفرنسي، وبعد احتلال الإنجليز لمصر عام ١٨٨٢م أقام الإنجليز المحاكم الأهلية التي تحكم بالقانون الإنجليزي الذي استمدت مواده من القانون الفرنسي، وشرع الإنجليز في إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم في المعاملات المالية والتجارية والزراعية، والمبادلات والشركات ونحوها، وقصروا القضاء الشرعي الإسلامي على ما سمي بالأحوال الشخصية تماماً كما فعل الإنجليز في الهند، وتدعيماً للقوانين الأوروبية الوضعية أنشئت مدرسة الحقوق المصرية لدراسة القوانين الأوروبية، وتمّ إرسال الطلبة المتفوقين إلى فرنسا ليستكملوا دراساتهم القانونية، ومن ثمّ يعودوا معاول هدم للشريعة الإسلامية ولقد تطورت هذه المدرسة فأصبحت كليات

١- بعد هزيمة تركيا سنة ١٩١٨م من قبل الخلفاء، أملت بريطانيا من خلال وزيرها "كرزن" شروطاً أربعة على مصطفى كمال أتاتورك، عرفت في التاريخ المعاصر بـ "شروط كرز"، وهي: ١- إلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً. ٢- أن تقطع تركيا صلتها بالعالم الإسلامي. ٣- أن تجمد وتشل كل نشاط إسلامي. ٤- أن تختار تركيا لنفسها دستوراً مدنياً لا دينياً. انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف ص ١٢٧-١٢٨.

الحقوق الجامعية التي تخرّج آلاف العاملين في سلك القضاء والنيابة والمحاماة، وفي لجان مجالس التشريع الوضعي داخل البرلمانات وخارجها.

ومع معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧م، اشترط المؤتمرون الأوروبيون الكفار، وعلى رأسهم الإنجليز: أن تلغي مصر المحاكم الشرعية، وأن تستمد مصر تشريعاتها وقوانينها من التشريع والقانون الأوربي، وفي سنة ١٩٤٨م صدر القانون المدني المصري الذي جعل الشريعة الإسلامية في الدرجة الثالثة بعد التشريع الوضعي والعرف الوضعي.

وفي عهد حكومة الرئيس جمال عبد الناصر في سنة ١٩٥٥م -ألغيت المحاكم الشرعية، وأدخل القانون الوضعي في صلب برامج الدراسة بكلية الشريعة بجامعة الأزهر وسميت "كلية الشريعة والقانون" بعد أن كانت كلية الشريعة. وقصد من هذا الفعل: جمعُ المتناقضات في منهج واحد، والتقليل من المواد الشرعية الإسلامية، وتقريبُ الشقة بين الحق والباطل، وحلُّ عقدة الرفض في الرؤوس والنفوس، ولكن هيهات ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وهكذا صارت خطة علمنة القانون في البلدان الإسلامية، حتى أصبحت شريعة الكفار "القوانين الوضعية" هي الحاكمة المسيطرة، وشريعة الله تعالى غائبة ومحاربة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: (لتنقض عرى الإسلام: عروة... عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم، وأخرهن الصلاة).^(١)

رابعاً: العلمنة من خلال الحداثة في الأدب والفكر:

الحداثة هي: الثورة على كل شيء، على الأخلاق والقيم، بل الدين، والابتعاد الصارم عن قيم المجتمع من خلال الأدب وخاصة الشعر. والحداثة مصطلح أدبي يطلق على اتجاه يسود العالم العربي كله، ويعمل من خلاله الشيوعيون والماركسيون

١- رواه أحمد في المسند ٢٥١/٥، وسنده صحيح.

والعلمانيون في حرية تامة، في مجال تكوين الرأي العام تكويناً جديداً بعيداً عن دين الأمة وقيمها وأخلاقها، ويهدف العبث بعقيدة الأمة المسلمة وقيمها ومقدساتها الدينية.

وتعتمد الحداثة الغموض والإبهام والرمز في الأدب والشعر الحديث. ويتخفى الحداثيون وراء مظاهر تقتصر على الشعر والتفعية والتحليل، بينما هي تقصد رأساً هدم اللغة العربية، وما يتصل بها من مستوى بلاغي وبياني عربي مستمد من القرآن الكريم، وهذا هو السر في حملتهم على القديم وعلى التراث وعلى السلفية، ولا يقف الهجوم على اللغة العربية وحدها، ولكنه يمتد إلى الأرحام والوشائج، حتى تتحلل الأسرة المسلمة، وتزول روابطها، وتنتهي سلطة الأدب وتنتصر - كما يزعمون - إرادة الإنسان وجهده على الطبيعة والكون. ويرى الحداثيون أن الإسلام يمثل الماضي (التقليد)، بينما الحداثة هي لغة العصر، وهي من يجب أن يحدد علاقتنا به.

إن خير من يتحدث عن خطورة الحداثة الحداثيون أنفسهم، يقول أدونيس الأب الروحي للحداثيين العرب في كتابه (مقدمة في الشعر العربي): "إن القرآن نفسه إبداع، وكذلك السنّة؛ فالإبداع القرآني والنبوي أوصدا الطريق أمام الإبداع الأدبي، وأوقعا الخوف في روع الأدباء.. وإن الأدباء العرب لن يبدعوا إلا إذا حرروا أفكارهم من التقيد بالدين والنظم السائدة في المجتمع سواء أكانت اجتماعية أو وطنية أو قومية، فالأدب، أي الأدب "اللامعقول"، أو "اللاواقع"، أو "اللاحياتي".

وأدونيس اللبناني يقول إن: "الحداثة هي ظاهرة تتمثل في تجاوز القديم العربي لتصهره في قديم أشمل يوناني، مسيحي، كوني".

خامساً : العلمنة من خلال الدسائس الفكرية اللادينية:

قامت الحكومات اللادينية العميلة بفرض سلطانها الفكري اللاديني بالترغيب تارة وبالترهيب والقوة تارة أخرى، وأهم ما تحرص عليه هذه الحكومات توعية الجيل الإسلامي الناشئ بالفكر اللاديني، والتوجيه اللاأخلاقي ليرتبط هذا الجيل بها،

ولينقاد لأفكارها وسياساتها، وينفذ في المستقبل مخططاتها، ويندفع بقوة في الدعوة إلى مبادئها.

واستعانت الحكومات اللادينية بما اتصفت به من المكر والدهاء، وأساليب الأغراء والتضليل، وعاونها في ذلك جماعة من الأدباء والمفكرين والكتاب والصحفيين.

فمن الأساليب التي يسلكها دعاة العلمانية في الأغراء والإفساد والتضليل:-

- ترغيب مَنْ يتوجه إليهم بالحضارة الغربية والأفكار الشيوعية، والزعم بأن أصحاب هذه الحضارة والمبادئ ما وصلوا إلى قمة المجد والقوة إلا بعد أن طرحوا الدين جانباً، وأبعدوه عن ميدان الحياة.

- ومن أساليبهم: تنمية الشباب عند التخرج بالوظيفة والجاه والمنصب إذا تقبلوا أفكارهم وانتموا إلى أحزابهم ومنظماتهم العلمانية.

- ومن أساليبهم: تشكيك الشباب في النظم الإسلامية، كأن يقولوا لهم: إن نظم الإسلام قد انتهى دورها، واستنفدت أغراضها، ولم تعد صالحة لعصر الذرة والعلم وغزو الفضاء.

- ومن أساليبهم: إقناع الجيل بأن الإسلام ظلم المرأة وانتقص حقوقها، وحدّ من حريتها في التعلم والعمل والخروج إلى الشارع، وفرض عليها الحجاب، وأعطاه نصف الرجل في الميراث، وأعطى الرجل حق القوامة عليها...ولا يمكن للمرأة في العصر الحديث أن تتبوأ المكانة اللائقة بها إلا إذا حصلت على حقوقها كاملة، وتحرّرت من قيود الدين والأخلاق والأعراف والتقاليد الموروثة.

- ومن أساليبهم: طرح الشعارات المزيّفة في كل حين، فحيناً تكون المناداة باسم الوطنية وأحياناً المناداة باسم القومية، وتارة باسم التمدن والتقدمية، وأخرى باسم الاشتراكية والمبادئ الثورية، وتارة ينادون بتحرير المرأة، وتحرير العامل، وتحرير الفلاح.

– ومن أساليبهم: إطلاق الأقوال الرنانة التي يسبُّون فيها الغرب الصليبي أو الشرق الملحد حتى يتخيل المرء أنهم وطنيون مخلصون، وليسوا من العملاء الذين باعوا عقولهم وشعوبهم وأوطانهم لأعداء الدين والوطن.

سادساً: محاربة الحركات الإسلامية تشويه الصورة الإسلامية: (١)

لقد رحل الاستعمار الغربي بجنوده وعساكره عن بلاد المسلمين، وسلّم زمام الأمر في هذه البلاد لزمرة من أبناء المسلمين الذين ربّاهم على عينه لتنفيذ أغراضه ومخططاته بعد رحيله العسكري، وتم استبدال بعض الحكومات بالانقلابات العسكرية وبقوة الحديد والنار. ولقد قامت زمرة المفروضين من قبل الغرب بمحاربة الحركات الإسلامية وإخماد الصورة الإسلامية أو تشويهها.

١/ وسائل العلمانيين في محاربة الحركات الإسلامية تشويه الصورة الإسلامية:

منها:

المحاكمات الظالمة والسجون، والقتل، والمطاردة والنفي، والمنع من الوظيفة والعمل، في حين قد يفتحوا أبوابها لبعض قادة الفكر والدعوة للإيقاع فيما بين القمة القيادية والجمهور، أو إسقاط الفئة الأولى وفنتته.

وكذلك الاتهام والسخرية، وأسلوب التشهير: فتارة تتهم الحركات بالتآمر على نظام الحكم وأنهم يعملون ضد مصلحة الوطن، وتارة ينسبون إليهم المغالاة في الدين والتطرف، وأخرى يتهمون بالعمالة لجهة خارجية، وأخرى يقولون عنها: إنّها لا تملك برنامجاً واضحاً، ولا خططاً عملية في الإصلاح.

٢/ أهداف العلمانيين من محاربة الحركات الإسلامية وتشويه الصورة الإسلامية:

أ- حتى لا يصل دعاة استئفاف المجد الإسلامي إلى الحكم، فلا يقام حكم الله تعالى في الأرض، بل تظل شريعة وقوانين الكفار سائدة.

ب-حتى لا تفقد القوى الدولية مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية في بلاد الإسلام.

ت-حتى لا تسري الصحة الإسلامية في الجيل المسلم سريان النور في الظلام، ولا يكون لها النماء والامتداد في أنحاء المعمورة.

ث- وحتى يبقى جيل الإسلام متقبلاً لمبادئ الغرب أو مبادئ الشرق الشيوعي... بلا وعي ولا معارضة، ولا تمحيص ولا نقد، وبالتالي بلا مقاومة ولا جهاد.

آثار العلمانية على الأفراد في العالم الإسلامي:

لقد تركت العلمانية آثاراً مدمرة وخطيرة في تفكير الأفراد، وحياة الشعوب المسلمة. ونذكر أمثلة من دول العالم الإسلامي، تركيا لكونها دولة الخلافة الإسلامية، ومصر بلد الجامع الأزهر الشريف.

١- فمن تركيا: مصطفى كمال أتاتورك:

عرف هذا الرجل -كما يقول المعجبون به- بأنه يثور ويهيج بسرعة، شديد الغرام بالإناث، والتسلي بشرب الخمر، وعداوته الشديد للدين الإسلامي، وعدم إيمانه بالله تعالى فإلهه لا نظره لا حاجة إليه، وعرف أيضاً بحبه الشديد للغرب وحضارته المادية. تولى مصطفى كمال حكم تركيا بعد المؤامرة الأوروبية ضد الخلافة الإسلامية فأصبح يقوم بأعمال عدائية ضد الإسلام عقيدة وشرعية. ونلخص أعماله فيما يلي:-

أ. الدعوة إلى إلغاء الشريعة، وإقصاء قضاة المحاكم الدينية، وضرورة إقامة المحاكم الحديثة والمحاكم المدنية على الطراز الأوروبي.

ب- طرد الخليفة، وإلغاء الخلافة بالتعاون مع اليهود والإنجليز.

ت- قام بإلغاء وزارة الأوقاف والأمور الشرعية. ومنع التعليم الشرعي، وإعدام مجموعة من العلماء والمشايخ.

ث- إلغاء الحجاب، وفرض السفور والتبرج على النساء.

ج- نادى بأن تركيا جزء من العالم الغربي، ومضى يغير كل شيء له صلة بالإسلام في تركيا، حتى أصدر في عام ١٩٢٥م قانون الملابس، الذي ينص على إبدال القبعة بالطربوش، ويقرر عقوبة على من يلبس الطربوش الذي كان اللبس الشائع بين المسلمين ويلزم بلبس القبعة تأسيماً بالغربيين وتشبهاً بهم، وتعظيماً لهم.

ح- إلغاء الحروف العربية، وفرض اللاتينية.

خ- منع الأذان بالعربية، وفرضه بالتركية، وتحطيمه لمئذنة جامع أيا صوفيا وتحويله إلى متحف.

د- رمي المصحف على رأس شيخ الإسلام مصطفى صبري.

ذ- العمل بالقوانين الأوروبية: القانون المدني السويسري، والقانون الإيطالي الجنائي، والقانون التجاري الإنجليزي.

٢- ومن مصر: نوال السعداوي.

اعتادت الدكتورة نوال السعداوي في السنوات الماضية الهجوم والافتراء على الإسلام وترديد أكاذيب وادعاءات تتضمن تطاولاً واعتداءً على المقدسات الإسلامية والسخرية منها، والتهكم عليها بصورة غريبة! وشاذة! في العديد من الصحف والمحطات الفضائية.

أ- عرف عن نوال السعداوي شطحاتها الفكرية التي تتعارض مع العقيدة وأصول الإسلام. وكانت قد كشفت في لقاءات تليفزيونية وحوارات صحفية شططها الفكري الذي وجدت فيه حكومات ومنظمات غربية معادية للإسلام ضالتها. ومن ذلك أنها طالبت نوال السعداوي في مؤتمر صحفي عقدته ودعت إليه الوكالات الغربية العاملة في مصر وحدها مطلع هذا العام طالبت: "بتشريعات نسوية علمانية لا يكون فيها أي سلطان أو حق على حد تعبيرها".

ب- قامت بسبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، واتهمته بالتمرد.

ج- طالبت بإبطال آية الميراث لأن فيها غُبنٌ للمرأة، ودعت إلى السفور والإباحية، وتعتبر الزواج بالنسبة للمرأة قيد على حريتها يجب إلغاؤه. وطالبت بأن يكون نصيب المرأة من الميراث مثل نصيب الرجل!!!

د- ومن شطحاتها رأيها في أن الزواج عبودية، وادعائها بأن عقود الزواج هي عقود احتكار للنساء، ودعوتها النساء للتحرر ممّا أسمته "القهر الذكوري الأبوي الزوجي"، وأنه يجب أن ينسب الولد لأمه، وأنها عنصرية أن ينسب الولد لوالده، وتجاهلت بذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وكانت تصرُّ على تسمية نفسها "نوال زينب" نسبة إلى أمها، وترفض أسم والدها.

هـ- تدعت إلى الاعتراف بالأبناء الغير شرعيين، أي الذين جاءوا عن طريق علاقات جنسية دون زواج، ضاربة بعرض الحائط للمنع النبوي "الولد للفراش".

و- هاجمت حجاب المرأة المسلمة، اعتبرت أن الحجاب نوع من الكذب والنفاق، ولا توجد إشارات في القرآن الكريم حول الحجاب وحتى إذا كان يوجد فإن سيدنا محمد قال أنتم أعلم بشؤون دنياكم وأوضح أنها تعتقد أن الحجاب حجاب العقل، وأن الحجاب والنقاب الحالي يؤديان إلى مصائب عديدة. وزعمت أن الحجاب مفروض للجواري، وأن الأخلاق لا علاقة لها بالملابس فيه نساء عرايا في أفريقيا وأخلاقهم جيدة، وفيه نساء محجبات نصف مومسات في مصر، فلا علاقة للحجاب بالأخلاق، ولا العذرية؟!.

ز- اعترضت على قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وكتبت "قل هي الله أحد...." تعالى الله عما تقول علواً كبيراً.

ح- زعمت أن عقائد الإسلام وتشريعاته وأخلاقه على أنها من صنع الرجل أراد بها تثبيت مركزه في مواجهة المرأة وقهرها وتحطيم إنسانيتها، وترى أن العلاقة بين الجنسين كانت وستظل علاقة صراع لا يعرف هوادة ولا رحمة.

سبق أن تبين معنا أنَّ علاقة العلمانية بالدين علاقة سلبية، لكونها تبعد الدين عن المجتمع والحياة، وعن الدولة والحكم، وتبقيه حبيساً في نفس الفرد، لا يتجاوز علاقته الخاصة بينه وبين ربه سبحانه وتعالى.

فالسؤال الذي يطرح نفسه: هل يمكن أن تتعايش العلمانية مع الإسلام؟.

إنَّ الإجابة عن السؤال: لا تحتاج إلى عناء، كبير فإنها لا يمكن أن تتعايش مع الإسلام الذي أنزله الله تعالى كي يحتكم إليه الناس في جميع شئون حياتهم، فالإسلام نظام شامل للحياة، وإذا كان يمكن أن تقبل الإسلام عقيدة في نفس الفرد، فإنها لا تقبل هذه العقيدة أساساً للولاء والانتماء، ورابطة وحيدة للتجمع، ولا ترى أن من موجبات العقيدة الالتزام بحكم الله ورسوله.

وإذا كان يمكن أن تقبل العلمانية الإسلام عبادة ونسكاً، لكن بشرط أن يكون شأناً موكولاً إلى الأفراد، لا على أن ترعاه الدولة وتحاسب عليه، وإن كانت تقبله أخلاقاً وآداباً شخصية للفرد، لا يمس التيار العام للمجتمع، فالعلمانيون يرغبون في أن تسود العادات والتقاليد الغربية في اللباس والطعام والمسكن والزينة ونحوها في مجتمعاتنا الإسلامية، لا يرغبون في أن يقيد المجتمع المسلم بأحكام الحلال والحرام التي جاءت في الكتاب والسنة، فهل هناك واحد من العلمانيين مثلاً يرغب في أن يسود الحجاب الشرعي حياة المرأة المسلمة في الشوارع والأسواق ومعاهد الدراسة.

كيف تتعايش العلمانية مع الإسلام وهي تقف بكل صراحة وقوة ضد الشريعة التي تنظم بأحكامها وأنظمتها وآدابها الحياة الإسلامية، سواء فيما يتعلق بحياة الفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الدولة، إن شريعتنا الإسلامية تغنيها بأنظمتها وأحكامها من استيراد القوانين من البلاد الغربية. إن الإسلام يرفض هذه القوانين الوضعية المستوردة والعلمانية تقبلها وتروج لها وترفض شريعة الله تعالى، فكيف تتعايش العلمانية مع الإسلام.

وكيف يجوز لمسلم أن يقول إن الإسلام لا يعادي العلمانية أو أن العلمانية ليست مضادة للعقيدة، والعلمانية تقول: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، وهي تقول: إن الاقتصاد لا علاقة له بالدين، والفن لا علاقة له بالدين، وشئون الحكم لا علاقة لها بالدين وهي تقول باختصار: لا حكم لله في أي شأن من شئون الحياة الإنسانية.

إنَّ الاحتكام إلى شريعة الله واجب شرعي، ولا يمكن أن يكون المرء مسلماً إذا أخذ من الإسلام ما يوافق هواه، ورفض منه يخالف هواه، ولا يمكن أن يكون مسلماً إذا آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

إذاً العلمانية هي الجاهلية بعينها، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ويقول صلى الله عليه وسلم: "من دعا بدعوى الجاهلية فهو في جثي جهنم"، قالوا: وإن صام وصلى، قال صلى الله عليه وسلم: "وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم".^(١)

حكم الإسلام في دعاة العلمانية:

إنَّ العلمانية دعوة مرفوضة، ونبذة خبيثة، لم تنبت في أرضنا، ولم تنبع من عقائدنا وقيمنا وأخلاقنا، إنها غريبة عنّا، وستظل كذلك مرتبطة في أذهاننا وقلوبنا بالاستعمار الغربي، الذي نبتت في أرضه وفرضها علينا دون إرادة منّا ولا اختيار.

١ - رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب، ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما، والحاكم في المستدرک.

وإذا كانت حقيقة العلمانية، ولَبَّ معناها رفض الدين وإبعاده وإقصائه عن جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والخلقية والاجتماعية وعن التشريع، فإن العلماني ينتهي أمره إلى الكفر البواح والعياذ بالله، لأنه ينكر جملة معلومات من الدين بالضرورة، ينكر القطعيات التي تثبت بالتواتر اليقيني، وينكر ما أجمعت عليها الأمة الإسلامية.. إنَّ العلماني الذي يرفض تحكيم الشريعة الإسلامية، ويرى عدم مواكبتها لروح العصر والحضارة، ليس له من الإسلام إلا اسمه، وهو مرتد عن الدين بيقين، يجب أن يستتاب، وأن تزاح عنه الشبهة، وتقام عليه الحجة، وإن بقي على اعتقاداته الباطلة حكم القضاء بردته، وجرده من انتمائه إلى الإسلام، وفرَّق بينه وبين زوجه وأولاده، وأجرى عليه أحكام المرتدين في الحياة وبعد الوفاة.

الجانب الثاني

المكائد الدولية لتغريب المرأة المسلمة

إنَّ المرأة المسلمة قد نالت كرامتها وعزتها في ظل الإسلام، فقد جاء شاملا كاملا مهتم بكل جانب من جوانب الحياة، ومنظما له أحسن نظام وأكمله، ومن ذلك أنه تولى العناية بالمرأة وشؤونها، وأحاطها بسياج منيع من الصيانة والحماية، ورسم لها خير منهج؛ لما لها من الأهمية والمكانة العظيمة. ولقد جاء الإسلام والمرأة مهضومة الحقوق ومسلوبة الكرامة، مهانة مزدرة، معدودة من سقط المتاع، وأبخص السلع، تباع وتشترى، فلا تملك ولا تورث، بل تقتل وتواد، فأشرق الإسلام بنوره وحكمته وعدله على تلك الجاهلية فرفع مكانة المرأة، وأعلى من شأنها وأعاد إليها الكرامة والعزة، وأعطاه حقوقها، واعتبرها شريكة الرجل، شقيقة له في الحياة، وقد ذكرها الله في كتابه الكريم في أكثر من موضع، يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ [آل عمران: ١٩٠]. كما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "استوصوا بالنساء خيرا".^(١)

ولقد ضمن الإسلام للمرأة الكرامة، والإنسانية، والحرية الشرعية، والأعمال التي تتوافق مع طبيعتها وأنوثتها، بما لا يخالف الشرع، كما أنه قد ساوى بينها وبين الرجل في عامة المجالات، ولكن هذه المساواة ليست على إطلاقها، بل هي قائمة على ميزان الشرع، ومقياس النقل الصحيح الصريح، وبما يتناسب مع فطرتها، فجاء الإسلام ليقرر أن نفس الرجل والمرأة سواء، ليسمو بها إيمان وخلق ويتضع بها كفر وانحراف، وبعض الفروق الجسمية بين الرجل والمرأة لا تؤثر على النفس الواحدة". واليوم تواجه المرأة المسلمة تحديات عديدة وخطيرة، تقتل في نفسها الطموح إلى الأفضل، فهي تحارب في دينها وقيمها، بفرض أنماط من السلوك والأوضاع الغربية المتناقضة مع قيمنا الإسلامية والمخالفة لشريعتنا الربانية، وذلك فيما يتعلق بشكل هذه القيم الرفيعة وجوهرها؛ فتوصم بالتطرف والجمود والرجعية، إذا التزمت

١- سنن ابن ماجه، (١٨٩١). كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج.

بدينها مظهراً ومخبراً، فهي متطرفة في زيتها الواسع الفضفاض، ومتطرفة في رفضها الاختلاط والتبرج الممجوج، متعصبة في دفاعها عن قضايا المسلمين، ومتزمتة في حرصها على تلقين أولادها مفاهيم الإسلام، بينما يكون النموذج الغربي هو الاعتدال المقبول الذي يجب على ونسائنا الالتزام به.

وما أكثر أولئك الذين يكيّدون للمرأة المسلمة.. وما أكثر الذين يريدون النيل منها، فيدبرون لها ليل نهار، يريدونها سلعة تباع وتشتري، تتخبّطها الشهوات وتغرق في مستنقع الرذائل، ولتنفيذ الأعداء لمخططاتهم في هدم كيان المجتمع الإسلامي من خلال المرأة- لأهمية دورها في بناء كيان الأسرة والمجتمع- ساروا في عدة مسارات في آن واحد، وهي:-

محاور إفساد المرأة المسلمة:-

أولاً: التمويل الأمريكي والأوروبي للجمعيات والمنظمات الأهلية النسائية العلمانية: ويستهدف التمويل الأجنبي للجمعيات الأهلية النسائية تسخير هذه الجمعيات لخدمة أهداف ممولّيها، وفي مقدمة الممولين مؤسسات أمريكية تتبع الحكومة الأمريكية مباشرة، وهذه الحكومات لا تمول هذه الجمعيات لوجه الله تعالى، وإنّما تدعمها لتسيرها وفق خطط وأهداف وضعتها هذه الحكومات مسخرة القيادات النسائية في هذه الجمعيات لتحقيقها.

ثانياً: الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان: ومن أخطر هذه الاتفاقيات، اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو CEDAW)، وقد صدرت هذه الاتفاقية من الجمعية العمومية للأمم المتحدة في عام ١٩٧٩م، وأصبحت سارية المفعول منذ ٣ سبتمبر عام ١٩٨١م، ووصل عدد الدول الموقعة عليها إلى ١٨٩ دولة، أي أكثر من ثلثي أعضاء الأمم المتحدة.

وترتكز اتفاقية "سيداو" على مبدأ المساواة المطلقة، والتماثل التام بين المرأة والرجل في التشريع، وفي المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي التعليم والعمل والحقوق القانونية، وكافة الأنشطة. واتفاقية "سيداو" تهدف إلى هدم وطمس وإلغاء الأحكام الشرعية المتعلقة بالأسرة، وتفرض على الأسرة المسلمة

نمط الحياة الغربي المتحرر من القيم والمبادئ الأخلاقية، وتدعو إلى المساواة المطلقة بين الرجال والنساء. وتهدف إلى إشاعة الفواحش والمنكرات، وإلى نشر الثقافة الجنسية لمسح البقية الباقية من قيمنا الأخلاقية. ويدلّ على ذلك: أنّ جذور هذه الاتفاقية تعود لتيارات الحركات الأنثوية الراديكالية (اليسارية أو العلمانية) التي تستقي أفكارها من مرجعية غربية غير إسلامية، ولدت ونشأت في سياق حضاري وفكري مخالف لسياق الحضارة والثقافة الإسلامية.

وهذه الاتفاقية "سيداو" فيها مخالفات متعددة وصريحة لنصوص الكتاب والسنة، ومخالفة لما قرّره علماء الأمة المسلمة على مدى القرون الماضية. كما أنّ اتفاقية "سيداو" تحدّثت عن حقوق المرأة وأغفلت واجباتها، فلم تذكر أي واجبٍ على المرأة؟! وهناك عدة ولايات من وراء إقرار اتفاقية "سيداو" أو التوقيع عليها، أو تنفيذها، ولذا يجب على كل مسلم لديه ذرة من إيمان أو مسكة من عقل أن يجنب البلاد والعباد ولايات إقرار اتفاقية "سيداو"، أو التوقيع عليها، أو تنفيذها لما يأتي:-

١- أن تصبح اتفاقية "سيداو" هي المرجعية القانونية والتشريعية لحماية حقوق المرأة، حيث أنّه بموجب هذه الاتفاقية تصبح الدول الأطراف الموقعة عليها ملتزمة باتخاذ كافة التدابير لتطبيقها، وضمن دساتيرها. فتصبح اتفاقية "سيداو" مرجعية المواثيق والاتفاقيات الدولية فوق مرجعية الإسلام في أحكام الأحوال الشخصية.

٢- معارضتها الصريحة للدين الإسلامي وتشريعاته، وللأخلاق والقيم، عبر التقليل من أهمية الزواج، والدعوة إلى الإباحية والانحلال.

٣- احتوائها على مواد تؤدي إلى تغيير جذري في المجتمع، كإلغاء دور الأم، وتحديد صلاحيات الأب.

٤- هذه الاتفاقية تهدف إلى إخراج المرأة المسلمة من عفتها وكرامتها، وجعلها سلعة تُباع وتُشتري، ثمّ لا يقيم لها بعد ذلك وزن ولا قيمة.

٥- دعوتها إلى إبطال القوانين والأعراف والتشريعات الدينية، واستبدالها بالاتفاقات الدولية.

٦- إلغاؤها لثقافات الشعوب وحضاراتهم، ومعتقداتهم الدينية، ودعوتها إلى أحادية ثقافية في ظل العولمة.

٧- إباحة الزنا بين الجنسين بالتراضي، وإباحة اللواط والسحاق، تحت مسمى (العلاقات غير الطبيعية)، والحقوق الجنسية للمثليين والمثليات. فهذه العلاقات الجنسية المحرمة التي تروج لها الاتفاقية، وما يتعلق بها كالسماح بحرية الجنس- خاصة بين المراهقين والمراهقات-، ونشر وسائل منع الحمل؛ للقضاء على الثمرة المحرمة لهذه العلاقة الآثمة- أو ما يسمى الحمل غير المرغوب فيه فيه محاولة لنشر الفحشاء والرذيلة بين المجتمعات البشرية.

٨- إلغاء التحفظات أو الممارسات التي يكون أساسها ديني أو حضاري، بل تستبعد الدين، وتدعو إلى فصله عن شؤون حياة البشر، كما تهمل هذه الوثيقة الدور الذي يمكن للدين أن يقوم به في مجال مقاومة العنف الموجّه ضد النساء، والاعتصاب، والاتجار القسري، بالنساء والدعارة.

٩- مطالبتها بسن تشريعات وإصدار قوانين جديدة مغايرة للأحكام الشرعية الإسلامية، على النحو التالي:-

أ- استبدال القوامة للرجل الزوج بالشراكة، والاقتسام التام للأدوار داخل الأسرة بين الرجل والمرأة مثل: الإنفاق، رعاية الأطفال، الشؤون المنزلية. باعتبار قوامة الرجل في الأسرة عنفاً ضد المرأة. وهذا من شأنه: زعزعة الاستقرار الأسري لدى المسلمين بعد أن تضطرب الأدوار التي يلعبها كل من الرجل والمرأة في إدارة الأسرة.

ب- التساوي التام في تشريعات الزواج مثل: إلغاء كل من: التعدد، والعدة، والولاية، والمهر، وإنفاق الرجل على الأسرة، والسماح للمسلمة بالزواج بغير المسلم وغيرها.

أي إلغاء الفوارق التي تقرها الشريعة الإسلامية بين الرجل والمرأة، من باب تكامل الأدوار، وإقرار ما يسمى بالنوع الاجتماعي، مثل: تشريعات الزواج والولاية، والطلاق، والتعدد، العدة، المهر، الميراث، وغيرها.

ج- رفع سن الزواج إلى الثامنة عشر. أي منع زواج الفتاة تحت سن الثامنة عشرة، ولو كانت ذات هيئة جسمية ونفسية تمكنها من تحمل كافة أعباء الزوجية.

د- التساوي التام في الإرث بين الرجال والنساء.

هـ- إلغاء الولاية على الفتاة في الزواج. وإلغاء استئذان الزوجة للزوج في السفر، أو العمل، أو الخروج، أو استخدام وسائل منع الحمل.

و- سحب سلطة التطليق من الزوج وإعطائها للمرأة كذلك.

ز- إعطاء الزوجة الحق في أن تشتكي زوجها بتهمة: الاغتصاب أو التحرش الجنسي أو غيره، وعلى الجهات المختصة توقيع عقوبة على ذلك الزوج مماثلة لعقوبة من يغتصب أو يتحرش بأجنبية، حيث تُعَدُّ الأمم المتحدة العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة والمبنية على رغبة الرجل، مع انعدام الرضا الكامل من المرأة، أو في أوقات لا تحلو لها، اغتصاباً زوجياً، وإذا لمسها من دون رضاها يُعَدُّ ذلك تحرشاً جنسياً بها، وتدخل جميعها ضمن نطاق العنف الجنسي من اتفاقية من منظور اتفاقية "سيداو" ومن منظور الأمم المتحدة.

ح- منح الفتاة كل الحريات الجنسية، بالإضافة إلى حرية اختيار جنسها وحرية اختيار جنس الشريك، أي أن تختار أن تكون علاقاتها الجنسية طبيعية أو شاذة. وتحكُّم المرأة الكامل في جسدها كما تشاء، ومنح الفتاة حرية تغيير جنسها متى شاءت.

ط- توفير وسائل منع الحمل للمراهقات، وتدريبهن على استخدامها، مع إباحة الإجهاض للتخلص من الحمل غير المرغوب فيه، تحت مسمى الحقوق الجنسية والإنجابية.

ي- مساواة الزانية بالزوجة، ومساواة أبناء الزنا بالأبناء الشرعيين مساواة كاملة في كل الحقوق.

ك- إعطاء الشواذ جنسياً كافة الحقوق وحمايتهم واحترامهم، وأيضا حماية العاملات في البغاء (العاهرات). وصدق الله العظيم القائل: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) سورة النور: ١٩-٢٠. والقائل: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [سورة الصف: ٨].

ثالثاً: المؤتمرات العالمية للتعليم المرأة من أجل تنفيذ مخططات إخراج المرأة المسلمة من الأخلاق الإسلامية، وتمردها على أحكام الشريعة الربانية.

قضايا مثارة من دعاة تحرير المرأة:-

أولاً: ضرورة العمل خارج البيت:

واشترط الإسلام لخروج المرأة المضطرة للعمل ما يلي:

١/ أن يكون العمل مناسباً لطبيعتها الأنثوية كما سبق بيان أمثلة ذلك.

٢/ ألا يكون العمل معطلاً لرسالتها في البيت، كأم مرتبة لأولادها، وكزوجة مكلفة بالأعباء المنزلية، والواجبات الزوجية.

٣/ أن تراعي آداب الخروج التي افترضها الله عز وجل على المرأة المسلمة: من ارتداء الحجاب الشرعي، والابتعاد عن الاختلاط بالرجال، والخلوة بالأجنبي، مع وجوب غض البصر عما حرم الله، وتجنب عوامل الإثارة والإغراء، مثل ألوان الزينة

والروائح العطرية، وتليين الكلام والخضوع فيه، والمشي بتكسر وتمايل، إن المرأة المسلمة عنوانها الحياء والاحتشام.

٤/ ألا تعمل المرأة في الأعمال المهيئة لكرامتها المفسدة لأخلاقها، تلك الأعمال التي يستغل فيها الرجال أنوثتها وعفتها، مثل: الرقص، وحلاقة الرجال، والغناء والتمثيل، وسكرتيرة لرجل يستغل أنوثتها وجمالها وعفتها، وعارضة أزياء تعرض جسمها ومفاتها وأعضاءها للنظارة، ونحو ذلك من الأعمال المفسدة للأخلاق، المثيرة للشهوات.

حجة المنادين بوجوب عمل المرأة ومناقشتها:

يزعم دعاة التحديث والتنوير، وأدعياء تحرير المرأة: أن اشتغال المرأة للقضاء على دواعي التمييز بينها وبين الرجل، فيما يسمونه بالنوع الاجتماعي، وبحجة واهية وهي الزيادة في الثروة القومية للبلاد، وأنها بالعمل خارج البيت تشارك أخاها الرجل في نهضة الوطن وتقدمه، وأنها تحقق شخصيتها المستقلة، وبقاؤها في البيت إهدار لطاقتها وانتقاص لكرامتها.

نقض هذه الحجة: ويمكن دحض هذه الحجة بما يلي:-

١/ إنَّ اشتغال النساء يؤثر على الحياة الاقتصادية تأثيراً سيئاً، باعتبار أن عملها فيه مزاحمة للرجال في ميدان نشاطهم الطبيعي، مما يؤدي إلى ازدياد نشر البطالة في صفوف الرجال، والواقع المعاصر في كثير من بلاد المسلمين يشهد بذلك، فلقد أصبح عدد كبير من حملة الشهادة الثانوية والشهادات الجامعية العليا عاطلين عن العمل، يملئون الشوارع والمقاهي، ويقفون أمام المؤسسات الحكومية والأهلية يقرعون أبوابها طلباً للوظيفة، بينما تحتل أمكنتهم فتيات ونساء لا يحملن غالباً مثل مؤهلاتهم وكفاءاتهم.

٢/ وإذا ثبت أن اشتغال المرأة يؤدي إلى بطالة الرجل، فإنّه من المحتمل أن يكون هذا الرجل الذي زاحمته هو زوجها، أو أخوها، أو أبوها، أو ابنها، فأي ربح اقتصادي للأسرة، إذا كان اشتغال المرأة يؤدي إلى بطالة زوجها أو أبوها أو غيرها ممن هو مكلف بالإنفاق عليها. حسب إحصاءات مكتب العمل العربي: ٧,٣ عدد العاطلين

عن العمل لعام ١٩٩١م أي بنسبة ١٠,٦ من القوى العاملة الإجمالية، ومن المتوقع ازدياد هذه النسبة نتيجة لزيادة مشاركة المرأة في العمل خارج المنزل.

تقول الدكتورة أيرين: إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا، وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق، ثم تواصل قولها: إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى الحريم (لفظ أصله إسلامي يعني فصل الرجال عن النساء. وكان كثير الاستخدام في العهد الإسلامي العثماني) هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه. (١)

٣/ إن الدراهم التي تحصل عليها المرأة من العمل لا توازي خسارة الأولاد لعطف وحنان ورعاية الأم، ولعل نسبة كبيرة من هذه الدراهم تذهب إلى الملابس الزاهية وأدوات التجميل والزينة والروائح العطرية وغير ذلك مما نراه في واقع مجتمعاتنا، وتلك الدراهم لن تساوي ما تخسره المرأة من أنوثتها وسمعتها، وربما شرفها، والقصص والحكايات في ذلك كثيرة تكاد تصم آذان العقلاء والمصلحين. إن ٨٧% من العاملات من ٨٥ مليون امرأة يفضلن البقاء في المنزل من نساء أوروبا وأمريكا واليابان وكندا، و ١٢ مليون حالة طلاق بسبب عمل المرأة، ٨٥% منها في الغرب، ٣٨% نقصان راتب المرأة عن الرجل في الغرب مع القيام بنفس العمل، وفي استفتاء نشرته مؤسسة أبحاث السوق في عام ١٩٩٠م أجري على ٢,٥ مليون امرأة تبين أن ٩٠% من النساء يرغبن العودة للبيت لتتجنب التوتر الدائم في العمل، ولعدم استطاعتهن رؤية أزواجهن وأطفالهن إلا بعد العشاء.

٤/ إن ما تؤديه المرأة في الغرب من أعمال مخالف لطبيعتها الأنثوية - في الغالب - ويمكن أن يؤديه أي عامل بسيط، أمّا أعمالها المنزلية فلا يستطيع أن يقوم به غيرها، والخسائر المعنوية والاجتماعية التي يتعرض لها المجتمع من وراء عمل المرأة خارج البيت لا تقدر بمال، ولقد صرح عقلاء الغرب ومفكروهم أنهم خسروا كثيراً باشتغال المرأة، حيث إنهار صرح الأسرة، وتشرذم الأولاد وفسدت أخلاقهم،

١- فتياتنا بين التغريب والعفاف: الأستاذ الدكتور ناصر بن سليمان العمر ص ٢٢.

وكثر المنازعات والخلافات الزوجية. إن النظر إلى كل فرد في المجتمع كآلة منتجة وبمقدار ما يكسب من المال، هو رجوع بالإنسان إلى الوراء، رجوع إلى عهود الرق والعبودية والسخرة، وهذا ما لا يرضاه العقلاء والمصلحون، وما لا ترضاه الإنسانية الكريمة، ولقد أثبتت الإحصائيات أنَّ 40% من راتب المرأة العاملة خارج بيتها ينفق على المظهر والمواصلات، و30% من تكاليف المنزل توفرها المرأة التي تعمل في منزلها، و70% من الدخل التي يمكن أن تحصل عليه تستطيع المرأة أن توفره إذا عملت في المنزل.

٥/ إنَّ مصالح الشعوب والأمم لا تقاس دائماً بالمقياس المادي البحت، فإنَّ في كل مجتمع فئات معطّلة عن الإنتاج المادي، فالجيوش وكثير من الموظفين لا يزيدون في ثروة الأمة المادية، ولقد رضيت كل الأمم بأنَّ يتفرغ الجيش لحماية البلاد، دون أن تلزمه بالعمل والكسب، ومنفعة هؤلاء أغلى وأثمن من المنفعة الاقتصادية، والتفرغ لشؤون الأسرة ورعاية النشء وتربيته وإعداده لبنة صالحة في المجتمع ليس بأقل فائدة من تفرغ الجيش لحماية البلاد.

ثانياً: الاختلاط بين الجنسين في معاهد التعليم:

تعد المناهج الداعية إلى الاختلاط والسفور من أهمِّ التحديات الماثلة أمام المرأة، بينما تسعى نفوس مريضة إلى استغلال النساء في بيئات أخرى لأعمال الرذيلة وترويج المخدرات وتشجيعهن لأعمال البغاء، وبيعهن في الأسواق مقابل الحصول على الأموال القذرة، وتؤكد تقارير عديدة أن النشاط المعادي للمرأة بأشكاله المتعددة ليس في تراجع بل في تزايد واستفحال، ورغم ترديد اسطوانات المواثيق والأعراف الدولية، وبرغم الجهود التي تبذلها بعض الدول لتقليل تلك المخاطر والحد من الظاهرة.

والمرأة الغربية تشكو اليوم من نتائج الاختلاط، وما جرّه عليها من ويلات، وعلى الرجل والأسرة والمجتمع. إنَّ 80% من الأمريكيات يعتقدن أن الحرية التي حصلت عليها المرأة خلال الثلاثين عاماً هي سبب الانحلال والعنف في الوقت الراهن، 16% من الفتيات بين 12-17 سنة يعانون من مشاكل ذات علاقة

بالمخدرات، و١٦,٧% من الفتيان بين ١٢-١٧ سنة يعانون من مشاكل ذات علاقة بالمخدرات.

وحسب المسح القومي الأمريكي في سنة ١٩٩٩م: التعليم المختلط يشجع على إقامة العلاقات بين الأولاد والبنات، إضافة إلى عدم تركيزهم بسبب توجه الاهتمام للجنس الآخر، و٧٥% من المراهقات الحوامل من المدارس المختلطة، وفقط ٥% من الحوامل في المدارس التي تطبق الفصل بين الجنسين، بينما النتيجة صفر % في المدارس الإسلامية - ولله الحمد-.

ونحن المسلمين لنا شخصيتنا المستقلة المتميزة، لنا شخصيتنا التي تكونها عقيدتنا الإسلامية الربانية، لنا قيمنا وأخلاقنا التي يجب أن نستمدّها من ديننا الحنيف، ومطلوب منا ألا نجاري الآخرين وألا نسير على مناهجهم التي ابتدعوها حسب أهوائهم وآرائهم بعيداً عن الدين الحق والعقيدة الربانية.

ولمعرفة موقف الشرع الإسلامي من الاختلاط الذي يطالب به البعض في مدارسنا وجامعاتنا لابدأ أولاً من معرفة وضع المرأة في المجتمع الإسلامي الذي أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قواعد وأسس ربانية.

فالمرأة المسلمة كانت تشهد الجمعة والجماعة في المسجد النبوي، وكانت تحضر صلاة العيد، ولكنها كانت مأمورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتخذ الصف الأخير خلف صف الرجال، وكان الصبيان في وسط الصفوف بين الرجال والنساء، ولمّا خاف النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة عند باب المسجد أمر بأن يكون للنساء باب خاص فقال: "لو أنكم جعلتم هذا الباب للنساء" ^(١)، وصار الباب يعرف إلى يومنا هذا بباب النساء.

وكانت النساء تحضرن درس العلم والوعظ مع الرجال في مسجده صلى الله عليه وسلم، ثم طلبن منه أن يخصص لهن يوماً يأتين فيه فيعلمهن الرسول عليه الصلاة والسلام مما علمه الله. ^(٢) وأيضاً كانت تشارك في الجهاد في سبيل الله،

١- رواه أبو داود.

٢- رواه مسلم.

وكانت طبيعة عملها فيه يناسب فطرتها كأنثى، كالتمريض والإسعاف وسقاية المجاهدين والطهي ورعاية الجرحى وغزل الشعر.

واللواتي جاهدن بالسيف والخنجر قلائل من النساء ذكرهن أهل السير والتاريخ في صورة مشرقة كلها حياء واحتشام أمثال: أم عمارة نسيبة بنت كعب، وأم سليم. وإذا كانت المرأة المسلمة قد شاركت الرجال في ميادين العبادة والعلم والجهاد فما هي الآداب التي فرضت عليها من الله تعالى؟ إن هذه الآداب فرائض في حق كل امرأة مسلمة، لا يجوز لمن تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتخلى عن إحداها، وإلا فإنها تكون عاصية لله ورسوله، تجلب على نفسها سخط الله وعذابه، وهذه الآداب الفرائض هي:-

١/ **غض البصر:** أي لا تنظر إلى عورة، ولا تنظر بشهوة، وألا تطيل النظر في غير حاجة، وهذا فرض يشاركها فيه الرجل، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١].

٢/ **ارتداء الجلباب الساتر** لكل جسمها ما عدا الوجه والكفين عند أكثر الفقهاء والساتر لكل جسمها بما فيه الوجه والكفين عند بعضهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

٣/ **عدم الخلوة بالرجل الأجنبي،** ولو كان رجلاً يعلمها القرآن الكريم، قال عليه الصلاة والسلام: (ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما)^(١).

٤/ **تجنب عوامل الإثارة والإغراء** مثل الروائح العطرية وألوان الزينة، وتليين الكلام والخضوع فيه، والمشي بتكسر وتمایل، بل يجب عليها الحياء والاحتشام^(٢).

إذاً كل مشاركة من النساء للرجال في ميادين العلم ومعاهد التعليم دون مراعاة لتلك الآداب تصبح مشاركة آثمة يحرمها الشرع الإسلامي الحنيف.

١- رواه الطبراني.

٢- فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/ ٢٨٥-٢٨٦.

إنَّ أمريكا ربة الحضارة الحديثة -كما يزعم- حسب إحصائية ١٩٧٧م توجد فيه (١٠٧) جامعة وكلية متوسطة غير مختلطة، منها (٧٩) جامعة وكلية للبنات، و(٢٨) جامعة وكلية للطلاب. فهل تناست أمريكا التي تقلدونها الضرورات القومية والاجتماعية والحضارية والتربوية والاقتصادية؟! أم تريدون الشهوات والمتع الرخيصة، وابتذال المرأة وتحطيم أخلاق الرجل بدعوة ضرورة الاختلاط والحاجة إليه.

إنَّ كثيراً من الأمريكيين أدركوا أنَّ الاختلاط يشغل الفتيات عن الجد والنشاط العلمي بالملابس والزينة وما إلى ذلك، مما لا يفكرن فيه عندما لا يوجد معهن فتیان.^(١) ولقد أصدر الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن أمراً بتشجيع العودة إلى تطبيق سياسة الفصل بين الجنسين في المدارس الثانوية والإعدادية، لمساعدة التلاميذ في التفرغ للدراسة وتحصيل نتائج أفضل، وأكد مسؤول كبير في البيت الأبيض أنَّ المدارس التي تطبق سياسة الفصل ستمنح تمويلاً يفوق المدارس المختلطة.

الجانب الثالث

العولمة أهدافها ووسائلها

تعريف العولمة لغة واصطلاحاً:

أولاً: العولمة لغة:

العولمة على وزن فועلة، وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها، وهي تدلُّ على تحويل الشيء إلى

وضعية أخرى، ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم، وأصبحت الكلمة دارجةً على ألسنة الكتاب والمفكرين في أنحاء الوطن العربي^(١).

والعولمة ترجمةً لكلمة "Mondialisation" الفرنسية، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي، والكلمة الفرنسية المذكورة إنما هي ترجمةً "Globalization" الإنجليزية التي ظهرت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل.

ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نقول بأنّ العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنّها تعني: تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد، أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله.

العولمة إذاً من حيث اللغة كلمة غريبة على اللغة العربية، ويقصد منها عند الاستعمال - اليوم - تعميم الشيء، وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله.

ثانياً: العولمة اصطلاحاً:

ويمكننا تعريف العولمة بما يلي:

(فرض الرؤية الغربية وفي مقدمتها الأمريكية على سائر الحضارات الأخرى في كافة مجالات الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية).

أهداف العولمة وآثارها:

وسنقف على بعض أهداف العولمة وآثارها في الجانب الثقافي والديني:

١/ الأهداف الثقافية للعولمة:

والهدف الثقافي للعولمة هو:

- ١- الترويج لفلسفة النظام الغربي الرأسمالي النفعي البرجماتي.
- ٢- فرض الثقافة الغربية الوافدة وجعلها في محل الصدارة والهيمنة في العالم.

١- العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨م من بحث للدكتور محمد عابد الجابري، ص ١٣٥.

٣- قهر الهوية الثقافية للأمم والشعوب الأخرى، على أن تظل الثقافات الأخرى محدودة في نطاق السلوك الفردي لا تتعداه.

فالدساتير والنظم والقوانين والقيم الأخلاقية يجب أن تستمد من الفلسفة المادية النفعية، ومن ثقافة الرجل الأبيض العلمانية، المناهضة للعقائد والشرائع السماوية.

يقول بلقيزر: "العولمة كما يدعي روادها هي انتقال من مرحلة الثقافة الوطنية إلى ثقافة عليا جديدة "عالمية"، وهي في حقيقتها اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات الأخرى، وهي اختراق تقني يستخدم وسائل النقل والاتصال لهدر سيادة الثقافات الأخرى للشعوب، وفرض الثقافة الغربية".

ويقول شتراوس هوب في كتابه -توازن الغد-: "إنَّ المهمة الأساسية لأمريكا توحيد الكرة الأرضية تحت قيادتها، واستمرار هيمنة الثقافة الغربية، وهذه المهمة التي لا بد من إنجازها بسرعة في مواجهة نمور آسيا وأي قوى أخرى لا تنتمي للحضارة الغربية".

آثار العولمة في الهوية الثقافية:-

أ/ من آثار العولمة في الهوية الثقافية شيوع الثقافة الاستهلاكية - لأنَّ العولمة تمجِّد ثقافة الاستهلاك- التي استخدمت كأداة قوية فاعلة في إطلاق شهوات الاستهلاك إلى أقصى عنان ومن ثمَّ تشويه التقاليد والأعراف السائدة في العالم الإسلامي.

ب/ تغريب الإنسان المسلم وعزله عن قضايا وهمومه الإسلامية، وإدخال الضعف لديه والتشكيك في جميع قناعاته الدينية وهويته الثقافية.

ت/ إشاعة ما يسمى بأدب الجنس، وثقافة العنف التي من شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة وكظاهرة عادية وطبيعية. وما يترتب على ذلك من انتشار الرذيلة والجريمة والعنف في المجتمعات الإسلامية، وقتل أوقات الشباب بتضييعها في توافه الأمور وبما يعود عليه بالضرر البالغ في دينه وأخلاقه وسلوكه وحركته في الحياة، وتساهم في هذا الجانب شبكات الاتصال الحديثة والتقنوات

الفضائية وبرامج الإعلانات والدعايات للسلع الغربية وهي مصحوبة بالثقافة الجنسية الغربية التي تחדش الحياء والمروءة والكرامة الإنسانية، ولقد أثبتت الدراسات الحديثة خطورة القنوات الفضائية -بما تنبئه من أفلام ومسلسلات جنسية فاضحة- على النظام التعليمي والحياة الثقافية والعلاقات الاجتماعية ونمط الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي.

ث/ انتشار نوعية مميزة من الثقافة المادية والمعنوية الأمريكية حيث سيطرت الثقافة الأمريكية الشعبية على أذواق البشر فأصبحت موسيقى وغناء مايكل جاكسون وتلفزيون رامبو وسينما دالاس هي الآليات والنماذج السائدة في مختلف أنحاء العالم وأصبحت اللغة الإنجليزية ذات اللكنة الأمريكية هي اللغة السائدة.

ج/ ومن آثار العولمة في طمس الهوية الثقافية للأمة الإسلامية انتشار الأزياء والمطاعم والمأكولات والمنتجات الأمريكية في كثير من الدول الإسلامية، لأن هذه السلع تحمل في طياتها ثقافة مغايرة تسحق ثقافات الأمم المستوردة لها، وظهور اللغة الإنجليزية على واجهات المحلات والشركات، وعلى اللعب والهدايا، وعلى ملابس الأطفال والشباب.

لقد ثبت أن الأزياء الأوروبية والأمريكية قد كتبت عليها عبارات باللغة الإنجليزية تحتوي على ألفاظ وجمل جنسية مثيرة للشهوات ومحركة للغرائز الجنسية، وأيضاً لا دينية تمس المشاعر والمقدسات والأخلاق الإسلامية وتروج للثقافة الغربية التي تقوم على الإباحية والحرية الفوضوية في مجال العلاقات بين الرجل والمرأة.

٢/ أهداف العولمة الدينية وآثارها:

أهدافها الدينية:

العولمة آتية من الغرب الصليبي الذي يعتمد الأنظمة والمفاهيم العلمانية اللادينية. ولقد حذرنا الله تعالى من اليهود والنصارى فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

يقول الدكتور جلال أمين: "وهناك من يكره العولمة لا لسبب اقتصادي، بل لسبب ديني. فالعولمة آتية من مراكز دينها غير ديننا، بل هي قد تنكرت للأديان كلها، وآمنت بالعلمانية التي لا تختلف كثيراً في نظر هؤلاء عن الكفر، ومن ثمّ ففتح الأبواب أمام العولمة هو فتح الأبواب أمام الكفر".

٢/ أهداف العولمة الدينية:-

١/ التشكيك في المعتقدات الدينية وطمس المقدسات لدى الشعوب المسلمة لصالح الفكر المادي اللاديني الغربي، أو إحلال الفلسفة المادية الغربية محل العقيدة الإسلامية.

٢/ استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن الحكم والتشريع، وعن التربية والأخلاق، وإفساح المجال للنظم والقوانين والقيم الغربية المستمدة من الفلسفة المادية والعلمانية البرجماتية.

٣/ تحويل المناسبات الدينية إلى مناسبات استهلاكية، وذلك بتفريغها من القيم والغايات الإيمانية إلى قيم السوق الاستهلاكية، ومنه أن يحول شهر رمضان - شهر الصوم والعبادة والقرآن - وعيد الفطر خاصة من مناسبة دينية إلى مناسبة استهلاكية.

آثار العولمة الدينية:

إنّ التحدي الخطير الذي تواجهه الشريعة الإسلامية من القوى المحلية العلمانية التي تتلقى الحماية الدولية المعنوية والمادية باسم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ولقد انتشرت الجمعيات الأهلية المدعومة غريباً، التي تقوم بمحاربة الهوية الثقافية الإسلامية وإثارة الشبه والشكوك حول النظم والتشريعات الإسلامية - وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين المرأة والرجل وقضايا المرأة المسلمة- وتطالب بعضها جهاًراً نهاراً الحكومات والمجالس البرلمانية إصدار القوانين وفق مواثيق الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الإنسان بعيداً عن النظم والتشريعات الإسلامية.

الفصل الرابع

الحركات الهدامة والمذاهب السياسية والاجتماعية الوافدة

المطلب الأول

الماسونية الحركة الهدامة

الماسونية لغة:

أصل التسمية باللغة الإنجليزية (Free-Masonry) فري ماسون، أي البناء الحر، وباللغة الفرنسية (Franc-Macon) فرانك ماسون، أي البناء الصادق، وقد ترجمت الكلمتان إلى اللغة العربية بكلمة: الماسونية أو الفرماسونية أو الفرمسون، كما تلفظ في بلاد الشام، أو الفرمصون كما تلفظ في العراق.

فالماسونية لغة إذاً: البناءون الأحرار أو البناء الحر. والبناءون الأحرار هم الذين بنوا هيكل سليمان.

الماسونية اصطلاحاً:

هي منظمة يهودية إرهابية مغلقة غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى سيطرة اليهود على العالم عن طريق تقويض الأديان - غير اليهودي-، والأخلاق، وإشاعة الإلحاد، والإباحية والفساد، واستخدام الشخصيات المرموقة في العالم، يوثقهم عهد متين بحفظ الأسرار وتنفيذ ما يُطلب منهم.

والماسونية أيضاً: هي الاسم الجديد للشرعية اليهودية المقنعة. ورموزها وتقاليدها يهودية (قبالا) وهو: كتاب مقدس عند اليهود وهو مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والسحر والشعوذة، متعارف عليه قديماً عندهم..

وأنها التفت بـماضي مظلم، وتدثرت بضباب قاتم من الأكاذيب والأراجيف الخائفة، وأن ارتباطها مع اليهودية والتوراة المحرّفة من الوضوح لاستنادها إلى آيات التوراة المحرفة لتعظيم مثلها الأعلى المتمثل في الأستاذ حيرام..، وحيرام هو عريف البنائين في بناء هيكل سليمان في القدس.

نشأة الماسونية:

نظراً لما أضفاه اليهود على الماسونية من أسرار وطلاسم وغموض في جميع أدوارها ومراحلها، فإن المؤرخين قد اختلفت آراؤهم وتباينت أقوالهم في أصل الماسونية وبدء نشأتها والاسم الأساسي لها، ولقد ذهب الباحث المؤرخ محمد عبد الله عنان إلى أن الماسونية من أقدم الجمعيات السرية الهذامة التي مازالت قائمة حتى عصرنا الحاضر، وأن منشأها ما زال غامضاً مجهولاً.

ولعل أقرب الآراء والأقوال إلى الحقيقة ما ذهب إليه بعض الباحثين في الماسونية: من أن مؤسس الماسونية هو والي الرومان على فلسطين، هيرودوس الثاني من عام ٣٧-٤٤م، وهو يهودي مغالي يرى أن اليهود شعب الله المختار هم وحدهم الذين يستحقون الحياة، وأن غيرهم من الأمم والشعوب يجب أن تكون مسخرة ومستعبدة لليهود. وكان اسم هذه المنظمة في زمن هيرودوس الثاني "القوة الخفية"، وقد ساعده في تأسيسها اثنان من العاملين في بلاطه، وهما حيروم آبيود وموآب لاوى، وكان هدفها: القضاء على المسيحية عبر التنكيل بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم، ومنع دينهم من الانتشار، ومن ثم إرجاع العالم إلى اليهودية. وقد كوّن هؤلاء الثلاثة منظمة أو جمعية سرية، ضمت في اجتماعها الأول تسعة أشخاص عقدوا اجتماعها السري في العاشر من أغسطس عام ٤٤م في أحد أبنية قصر هيرودوس -الذي أطلق عليه اسم ملك اليهود- وقد تسمى مكان الاجتماع باسم هيكل سليمان تخليداً لهيكل سليمان الذي تنبأ المسيح عليه السلام بتقويضه وهدمه. وأقسم الأعضاء التسعة يميناً مغلظاً وهم يضعون أيديهم على التوراة، ملخصه: المحافظة على أسرار جمعيتهم وعدم إطلاع الآخرين على أعمالها ونشاطها، وعدم إلحاق الضرر بأي من أعضائها، وإتباع مبادئها وتنفيذ قراراتها بكل دقة وأمانة، وأن من يخون هذا اليمين يستحق الموت بأي طريقة يختارها باقي أعضاء الجمعية.

أسست الجمعية أول محفل لها في القدس سمي بـ "محفل أورشليم" واختاروا دهليزاً لعقد اجتماعاتهم السرية فيه.

استمرت جمعية القوة الخفية في نشاطها ضد النصارى والنصرانية قتلاً وتعذيباً واضطهاداً وترويجاً للإشاعات حولهم وحولها، إلى أن مات هيرودوس في أواخر عام ٤٤م نتيجة مرض شديد أصيب به، وكان آخر كلماته لأتباعه قبل موته: "حافظوا على السر واطبوا على العمل، اشتغلوا ولا تملوا...".

تولى حيروم آبيود زعامة الجمعية بعد موت مؤسسها، وأول عمل اتجه إليه هو إضافة اسم جديد إلى اسم "هيكل أورشليم" هو "كوكب الشرق الأعظم" بغرض إيهام الناس بأن النور الحقيقي لهدايتهم هو هذا الكوكب أي كوكب القوة الخفية.. وبعد موت حيروم خلفه في الزعامة "موآب لاوى"، وظل في هذا المنصب إلى أن هلك عام ٥٥م.

تلك هي البداية الأولى في نشأة الحركة الماسونية، وهناك مرحلة أخرى حديثة لظهورها، وخاصة في أوروبا.

ذهب كثير من الباحثين الراصدين لتاريخ الماسونية وأنشطتها ومخططاتها إلى أن سنة ١٧٧٠م هي البداية الثانية لهذه الحركة.

وقالوا في ذلك: إن آدم وايزهاويت، مسيحي ألماني، عمل أستاذاً لعلم اللاهوت في جامعة "أنفولد شتات" الألمانية، ارتد وألحد، قد اتصل به بعض الماسونيين، وطلبوا منه إعادة تأسيس الحركة الماسونية على أسس حديثة، ووضع خطة جديدة للسيطرة على العالم عن طريق نشر الإلحاد وفرضه على البشرية جميعاً.

في عام ١٧٧٦م أنهى آدم وايزهاويت مشروع الخطة الحديثة للماسونية، ووضع أول محفل ماسوني في هذه الفترة، وهو "المحفل النوراني" نسبة إلى الشيطان الذي يقصدونه.

مخطط "بايك" الماسوني العالمي:

وفي سنة ١٨٤٠م ضم المحفل الماسوني العالمي إلى صفوفه الجنرال الأمريكي "ألبرت بايك" الذي سرح من الجيش الأمريكي، وقد استطاعت الماسونية استغلاله من أجل أن يصب جام غضبه وحقدته على الشعوب من خلال الماسونية،

وفي منزل بمدينة ليتل روك بأمريكا اعتكف الجنرال بايك من سنة ١٨٥٩-١٨٧١م، ثم خرج بمخطط ماسوني جديد وضعه مسترشداً بمخططات الزعيم الماسوني السابق وايزهاويت.

ويقوم المخطط الذي أعده بايك بتنفيذ ما يلي:

١/ تبني الحركات التخريبية الهدامة العالمية الثلاثة: الشيوعية، الفاشية، الصهيونية.

٢/ الإعداد لحروب عالمية ثلاث:-

الأولى: تطيح الحكم القيصري في روسيا، وجعل روسيا العقل المركزي والمنطلق الفكري للحركة الشيوعية الإلحادية.

الثانية: تؤمن اجتياح الشيوعية العالمية لنصف العالم مما يمهّد للمرحلة التالية: وهي إقامة دولة ما يسمى "إسرائيل" على أرض فلسطين المسلمة.

الثالثة: وتتصدى فيها الصهيونية السياسية للزعماء المسلمين في العالم الإسلامي وتحارب الإسلام الدين الخصم الأقوى للحركة الماسونية، وبالتالي السيطرة على العالم الإسلامي، والقضاء على العقيدة الإسلامية.

أهداف الماسونية:

من خلال دراسة نشأة الماسونية، ومعرفة المخططات الماسونية التي وضعها كل من وايزهاويت والجنرال بايك، والاطلاع على أقوال كبار الماسون وقراراتهم التي صدرت عن المحافل الماسونية العالمية، تبين أن الماسونية تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:-

أولاً: الأهداف القريبة:

١/ العمل في الخفاء من أجل الاستيلاء على العالم عن طريق تطعيم أكبر قدر من الكتل البشرية بالفكر الماسوني.

٢/ إخضاع الأحزاب السياسية الكبرى في العالم لسيادتها وجعلها خادمة لتحقيق أطماعها.

٣/ محاربة الجمعيات والمؤسسات والحركات الوطنية المخلصة ومحاربة الحركات الإسلامية.

٤/ تقويض الحكومات الشرعية وإلغاء أنظمة الحكم الوطنية ومحاولة إخضاعها والسيطرة عليها.

٥/ إشاعة الإباحية الجنسية والانحلال والفساد الخلقي والاجتماعي، وترويج الأفكار والفلسفات المادية الإلحادية.^(١)

ثانياً: الأهداف البعيدة:

١/ إقامة المملكة اليهودية في فلسطين وإعادة بناء هيكل سليمان -معبد الرب- على أنقاض المسجد الأقصى. جاء في إحدى الوثائق الماسونية: "والهدف المقدس الذي تعمل الماسونية على تحقيقه هو إعادة هيكل سليمان، وهو أكثر من مجرد رمز بل هو حقيقة مؤكدة ستبرز دون ريب إلى عالم الوجود عندما يستأصل العرب في فلسطين...".

٢/ صيانة الدولة اللادينية العلمانية، ومن ثم السعي إلى تأسيس جمهورية لا دينية، لا تعرف الله تعالى، ديموقراطية، عالمية، خفية، تسيطر على الكرة الأرضية كلها.

وسائل الماسونية في تحقيق أهدافها:

لقد سلكت الماسونية عدة سبل ووسائل لتحقيق أهدافها، وهي دائماً تطوّر وتجدّد وسائلها باستمرار، ومن وسائلها:

- ١/ إباحة الجنس، واستخدام المرأة كوسيلة للسيطرة.
- ٢/ إحياء الدعوات الجاهلية والنعرات الطائفية العنصرية، وبث الأفكار المسمومة.
- ٣/ استعمال الرشوة بالمال والجنس مع أصحاب الجاه والمناصب السياسية، وقادة الفكر والرأي المرموقين في بلدانهم لإسقاطهم في حبال الماسونية، ومن ثم استخدامهم لخدمة الماسونية.

١- أسرار الماسونية الجنرال جواد رفعت آتخان ص ٤٠-٤١.

٤/ تجرد الداخلين في الماسونية من الفضائل والأخلاق والروابط الدينية، والتجرد من الولاء للوطن، فالولاء يجب أن يكون خالصاً للماسونية نفسها.

٥/ السيطرة على رجال السياسية والحكم والفكر والأدب البارزين في بلدانهم، ومن أصحاب النفوذ والتأثير في المجتمعات، والعدد الأكبر منهم من أصحاب القرار، ثم استخدام هؤلاء صاغرين لتنفيذ المخططات الماسونية والصهيونية. وهذا الأسلوب تستعمله الماسونية أيضاً مع عدد من القادة العرب لامتطاء مساعديهم. وتحول القيادات المستهدفة إلى أدوات تخدم الحركة الماسونية، وبذلك تطمئن الماسونية إلى أن أهداف الصهيونية وأهداف (إسرائيل) ستبقى نبراساً يهتدي به القادة في مجمل سياساتهم. وهذا بالتأكيد ما يفسر إصرار عديد من الزعماء العرب على البقاء ضمن دائرة المصالح اليهودية. ويسمح للزعيم العربي أن يصرح أحياناً ضد (إسرائيل)، وأن يعبر عن انزعاجه من أجل أن يبقى على بعض المصداقية لدى شعبه، لكن ليس من المسموح أن يتمادى بحيث يؤدي رغبة اليهودية (إسرائيل).

٥/ السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام، ووسائل الاتصال، وتقنيات الحاسوب وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) واستخدامها في تحقيق الأهداف الماسونية.

٦/ بث الأخبار الكاذبة والإشاعات والأباطيل، والتركيز عليها لتصبح كأنها حقائق، من أجل طمس الحقائق أمام الجماهير.

٧/ توفير سبل الإباحية والرذيلة بين الشباب والشابات، وتوهين العلاقات الزوجية والروابط الأسرية.

٨/ الدعوة إلى تحديد النسل، والعقم الاختياري بين المسلمين.

٩/ السيطرة على المنظمات والمؤسسات الدولية، كمؤسسات منظمة الأمم المتحدة التي أصبح معظمها تحت رئاسة يهودي ماسوني.

١٠/ السيطرة على منظمات الشباب واتحادات النساء في كل بلدان العالم.

١١/ اعتماد السرية والكتمان الشديدين، واعتبارهما من أهم وظائف الماسونية وواجبات الماسوني.

علاقة الماسونية باليهودية:

الحركة الماسونية يهودية في نشأتها، وحقيقتها، وفي مصادرها الفكرية واصطلاحاتها وتعاليمها، ودرجاتها، وأسرارها، يهودية في أهدافها وغاياتها ومعتقداتها. ولقد أجمع الباحثون الراصدون للحركة الماسونية على يهودية هذه الحركة. ومن هؤلاء بعض العرب الذين انضموا إليها، ثم خرجوا منها، لما تكتشفت لهم أهدافها وحقيقتها اليهودية، وقد كتبوا في ذلك محذرين منها: أمثال: محمد علي الزعبي، ويوسف الحاج.

يقول الماسوني السابق الدكتور محمد علي الزعبي: "الماسونية آلة صيد بيد اليهود، يصرعون بها كبار الساسة، ويخدعون الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة...".^(١)

وهذه بعض الشواهد على يهودية الماسونية:-

- ١/ تأكيد هرتزل أحد حكماء صهيون: "إنَّ المحافل الماسونية المنتشرة في كل أنحاء العالم تعمل في غفلة - كقناع لأغراضنا - وإنَّ النصراري المنحطين ليساعدوننا على استقلالنا، وإنَّ وكلاءنا من غير اليهود ليحققوا لنا كثيراً من السعادة".
- ٢/ اتحاد الهدف: جاء في الصفحة ٧٤ من العدد الخامس للصحيفة اليهودية "لافارينا إسرائيلية" الصادرة في عام ١٨٦١م ما يلي: "إنَّ روح الحركة الماسونية هي الروح اليهودية في أعماق معتقداتها الأساسية، إنها أفكارها ولغتها، وتسير في الغالب على نفس تنظيمها، وأنَّ الآمال التي تنير طريق الماسونية وتسند حركتها هي نفس الآمال التي تساعد وتنير طريق إسرائيل، وتتوَّج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المعبد الرائع -معبد سليمان- الذي ستكون أورشليم رمزه وقلبه النابض".
- ٣/ وقالت دائرة معارف الماسونية الصادرة في فيلاديلفيا سنة ١٩٠٦م: "يجب أن يكون كل محفل رمزاً لهيكل اليهود، وهو بالفعل كذلك، وأنَّ يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود، وكل ماسوني تجسيدا للعالم اليهودي".

١- انظر كتابه حقيقة الماسونية.

٤/ القسم على التوراة: إن العضو الجديد يتم قبوله بعد أن يؤدي يمين حفظ السر وهو يضع يده على كتاب ، وهو الكتاب المقدس لدى اليهود كما هو معلوم.

٥/ توافق مصادر الفكر: إن التوراة، والتلمود، والنشرات والكتب التي صنفها أحبار اليهود وقادة الحركة الماسونية من اليهود هي مصادر الفكر الماسوني.

٦/ تأكيد برتوكولات حكماء صهيون هذه العلاقة: حيث صرحت بما يؤكد يهودية الحركة الماسونية، وأنها أسست لتحقيق الأهداف اليهودية. ومن ذلك: ما جاء في البروتوكول الرابع: "من ذا الذي يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها؛ وأية قوة ظاهرة هي تلك التي تتصدى لهذه القوة الخفية؟ إنَّ هذه بالتحديد هي مهمة قوتنا نحن. إنَّ المحافل الماسونية المنبثة في أنحاء العالم تعمل لخدمتنا، مستغلة الجويم -غير اليهود- لتحقيق مآربنا، ولا يعرف الجويم عن حقيقتها شيئاً بما في ذلك تواجدها الذي نجعله متنقلاً سرياً في الغالب الأعم ليظل سراً غامضاً"^(١).

٧/ تأكيد المجالات الماسونية علاقة اليهود بالحركة الماسونية، ومنها مجلة أكاسيا عدد ٦٦ الصادرة سنة ١٩٠٨م، ومجلة تريينال جوف عدد ٦١ الصادر سنة ١٩٢١، كما اعترفت بهذه الحقيقة الجمعيات الماسونية الأمريكية والأوروبية.

الماسونية والدين:

لقد أعلنت الحركة الماسونية عداها للسافر للأديان، وقامت بترويج الإلحاد والعقائد الكفرية، والفلسفات والأفكار المادية اللادينية، وتبنت الفلاسفة والمفكرين الملاحدة أمثال ماركس، ونييتشه، وفرويد، وإميل دور كايم، ونحوهم.

ونذكر هنا أمثلة فقط من أقوالهم التي تكشف عداؤهم للدين:-

١/ في مؤتمر الطلاب الذي انعقد في سنة ١٨٦٥م في مدينة ليبج التي تعتبر أحد المراكز الماسونية، أعلن الماسوني المشهور لافارج أمام الطلاب الوافدين من ألمانيا، وإسبانيا، وروسيا وإنجلترا وفرنسا قائلاً: يجب ان يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السموات ويمزقها كالأوراق، وإن الإلحاد من عناوين

١- برتوكولات حكماء صهيون ترجمة ودراسة وتقديم علي الجوهري ص ٥٢.

المفاخر، وليعيش أولئك الأبطال الذين يناضلون في الصفوف الأولى، وهم منهمكون في إصلاح الدنيا.

٢/ وجاء في وثائق مؤتمر بلغراد الماسوني سنة ١٩١١م: "يجب ألا ننسى أننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألوا جهداً في القضاء على مظاهرها".

٣/ جاء في وثائق المؤتمر الماسوني العالمي سنة ١٩٠٠م ص ١٠٢: "إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود".

٤/ وجاء في مجلة أكاسيا الماسونية الصادرة سنة ١٩٠٣ ص ٨٦٠: "إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة. وقالوا: ستحل الماسونية محل الأديان وإن محافلها ستقوم مقام المعابد".

٥/ جاء في مجلة المشرق الأكبر التركية الماسونية عدد ١٧ ص ٤٩: "لا يعيننا كفر الملحد أو ثواب المتدين، أو وصف الجنة والنار، وإذا وجد من يحاول العمل في ساحة الدين فتركه وشأنه مع الله.. وإذا أصرّ على رأيه نرجو منه أن يتركنا وألا يدخلنا بينه وبين الله".

الماسونية والمرأة:

إنّ الماسونية تريد من المرأة عفتها وشرفها، تريد من المرأة أن تتغمس في مستنقع الرذائل الجنسية، لتفسد الرجل، ولتقضي على الروابط الأسرية والاجتماعية، لتروج الانحلال والإباحية، لتذهب الأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في نهضتها، ليسهل لليهودية العالمية السيطرة على البشرية المنهوكة القوى.

وقد قال أصحاب مؤتمر بولونيا الماسوني عام ١٨٩٩م: "يجب علينا أن نكسب المرأة، فأى يوم مدّت إلينا يدها فزنا بالمرام، وتبدد جيش المنتصرين للدين"، وقال الماسوني "بوكه" سنة ١٨٧٩م: "تأكدوا تماماً أننا لسنا منتصرين على الدين إلاّ يوم تشاركنا المرأة، فتمشي في صفوفنا". وقال الرئيس بوفرييه في المجمع الماسوني عام ١٩٠٠م: "لا بد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا، ونخلصها من نفوذ

الدين". وقال الزعيم الماسوني "دور فويل": "ليس الزنا باثم في شريعة الطبيعة، ولو بقي البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات بينهم". ويقول "راغون" في كتابه: (رسوم إدخال النساء إلى الماسونية" ص ٢٢-٢٨): "العفة المطلقة مردولة عند الماسونيين والماسونيات لأنها ضد ميل الطبيعة، ومن ثم تبطل كونها فضيلة".

انتشار الماسونية ونفوذها:

إنَّ الماسونية من أقوى المنظمات السرية انتشاراً ونفوداً، فمحافلها توجد في كل العالم تقريباً، ولها في معظم الدول العربية مراكز ومحافل، يكون رئيس المحفل الفخري أو الفعلي في الغالب الزعيم أو الرئيس للدولة، وقد استقطبت المحافل الماسونية في البلاد العربية الشخصيات السياسية والأدبية والصحفية والاجتماعية والعسكرية البارزة، ذات المكانة والتأثير في المجتمع، ولقد أصبح هؤلاء كالدمى في يد الماسونية ينفذون سياساتها وتعليماتها خوفاً على أنفسهم وعلى كراسيهم، وقد استطاع الباحث حسين عمر حمادة أن يكشف عن معلومات خطيرة، وجوانب مجهولة عن الماسونية في الدول العربية، ويعتبر كتابه: "الماسونية والماسونيون في الوطن العربي" مصدراً رئيسياً ودقيقاً لتاريخ الماسونية في العالم العربي.

واستطاعت الماسونية عبر رجالها - وخاصة اليهود- أن تسيطر على معظم وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم، وأن تسيطر على معظم الجمعيات والمنظمات الدولية، ومنظمات الشباب والمنظمات النسائية، لتضمن سير العالم كما تريد وتنتهي. فهي تسيطر مثلاً: على هيئة الأمم المتحدة، ومعظم المؤسسات والمنظمات التابعة لها، مثل: مكتب السكرتارية لهيئة الأمم المتحدة، ومراكز الاستعلامات فيها، وشعبة الأقسام الداخلية للهيئة، ومؤسسة التغذية والزراعة، واليونسكو "مؤسسة التعليم والثقافة والفن"، وبنك الإعمار الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومؤسسة اللاجئين الدولية، ومؤسسة الصحة الدولية، ومؤسسة التجارة العامة.

المطلب الثالث

الشيعة الاثنا عشرية

ولقد تسمّت الشيعة بهذا الاسم لأنّهم يؤمنون باثني عشر إماماً، ثبتت لهم الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم (مهدي الشيعة) محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب منذ أكثر من ألف ومائتي سنة وينتظرون خروجه. يقول ابن حجر الهيتمي: "والكثير على أن العسكري لم يكن له ولد لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات، فدلّ طلبه أنّ أخاه لا ولد له، وإلا لم يسعه الطلب، وحكى السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري، وأنه لم يثبت له ولد بعد أن تعصب قوم لإثباته، وأن أخاه جعفراً أخذ ميراثه"

ومن أسمائهم: الروافض وهم: من أخطر الفرق على الأمة الإسلامية، وأشدها فتنة وتضليلاً، خصوصاً على العامة الذين لم يقفوا على حقيقة أمرهم، وفساد معتقدهم، والشيعة الاثنا عشرية في هذا الزمان قد أحدثوا حيلاً جديدة لاصطياد من لا علم عنده من أهل السنة، والتأثير عليه بعقائدهم الفاسدة الكاسدة. فمن ذلك ما أحدثوه من دعوة التقريب بين السنّة والشيعة، والدعوة إلى تناسي الخلافات بين الطائفتين، والتغني بتحرير فلسطين وما هذه الدعوة إلا ستار جديد لنشر التشيع بين صفوف أهل السنة، وإلّا فالشيعة لا يقبلون التنازل عن شيء من عقيدتهم.

اعتقادات الشيعة الاثنا عشرية في القرآن الكريم:

أولاً: عقيدة تحريف القرآن الكريم:

إنّ الشيعة الروافض لا يعتقدون بهذا القرآن الكريم الموجود بأيدي الناس، والمحفوظ من قبل الله العظيم، مخالفين بذلك جميع المسلمين، ومنكرين لجميع النصوص الصحيحة الواردة في القرآن والسنة الدالة على حفظه، ومعارضين كل ما يدلّ عليه العقل والمشاهدة، مكابرين للحق وتاركين للصواب.

لذا ذهب كبار علماء الشيعة إلى القول بأن تحريف القرآن الكريم من ضروريات مذهب الشيعة، ومن هؤلاء العلماء: أبو الحسن العاملي، إذ قال: "وعندي في وضوح صحة هذا القول "تحريف القرآن وتغييره" بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار، بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع، وأنه من أكبر مقاصد غصب الخلافة". والعلامة الحجة الشيعي عدنان البحراني: إذ قال: "وكونه: -أي القول بالتحريف- من ضروريات مذهبهم". ويقول سلطان محمد بن حيدر الخرساني: "اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقص والتغيير والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع شك في صدور بعضها منهم". وروى ثقة الشيعة الكليني في كتاب الكافي^(١) عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إنَّ القرآن الذي جاء به جبرائيل (ع) إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية".^(٢) أي تقريبا ثلاثة أضعاف المصحف الذي بين أيدي جميع المسلمين.

ولقد زعم علماء الشيعة كثرة الروايات الواردة عن أئمتهم في الاعتقاد بأنَّ القرآن الكريم الموجود بين أيدي المسلمين محرّف ومبَدَّل، وتعرّض للنقصان والزيادة من قبل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا مُحَدِّث الشيعة النوري الطبرسي يقول: "إنَّ الأخبار الدّالة على ذلك التحريف تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة: كالمفيد، والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي وغيرهم، واعلم أنَّ الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية".^(٣) وقال: "واعلم أنَّ تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية".^(٤)

١- الكافي: للكليني هو أصح وأوثق كتب السنة عند الشيعة الاثنا عشرية.

٢- أصول الكافي: كتاب فضل القرآن، باب النوادر ٦٣٤/٢.

٣- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص ٢٥١.

٤- فصل الخطاب ص ٢٥٢.

وقال محدّثهم محمد بن يعقوب الكليني في (أصول الكافي) تحت باب: أنه لم يجمع القرآن كلّهُ إلاّ الأئمة: "عن جابر قال: سمعت أبا جعفر يقول ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزله الله إلاّ كذّاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلاّ علي بن أبي طالب والأئمة من بعده".^(١) ومن المعلوم أن القرآن الكريم جمعه أبو بكر الصديق ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وما بين أيدينا هو ما جمعه عثمان رضي الله عنه. وقال في آخر كتاب (فضل القرآن) عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ القرآن الذي جاء به جبرائيل (ع) إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية.^(٢)

قال ابن حزم الظاهري: "وأما قولهم- يعني النصارى- في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هي فرقة حدث أولها، بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر".^(٣)

ثانيا: العمل بالقرآن مؤقتا:

يؤمن الشيعة الروافض بضرورة العمل بالقرآن الكريم الموجود بأيدي المسلمين مؤقتا ريثما يخرج مصحفهم الحقيقة مع إمامهم المنتظر، فقد قال شيخهم نعمة الله الجزائري: "قد روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان، فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين فيقرأ ويعمل بأحكامه".^(٤)

١- أصول الكافي: الكليني ١/١٧٩، وانظر خاتمة مستدرک الوسائل: تأليف الميرزا الشيخ حسين النوري الطبرسي ٤/٤٩١.

٢- أصول الكافي: كتاب فضل القرآن، باب النوادر ٢/٦٣٤.

٣- الفصل في الملل والنحل ٢/٢١٣.

٤- الأنوار النعمانية ٢/٣٦٣-٣٦٤.

ثالثاً: عدم اهتمام الشيعة بالقرآن:

يقول آية الله الخامنئي المرشد الديني للجمهورية الإسلامية الشيعية: "مما يؤسف له أنّ بإمكاننا بدء الدراسة ومواصلتنا لها إلى حين استلام إجازة الاجتهاد من دون أن نراجع القرآن ولو مرة واحدة ! لماذا هكذا؟ لأنّ دروسنا لا تعتمد على القرآن".^(١) ويضيف آية الله الخامنئي: "إنّ الانزواء عن القرآن الذي حصل في الحوزات العلمية وعدم استئناسنا به، أدى إلى إيجاد مشكلات كثيرة في الحاضر، وسيؤدي إلى إيجاد مشكلات في المستقبل... وإن هذا البعد عن القرآن يؤدي إلى وقوعنا في قصر النظر". ويقول آية الله محمد حسين فضل الله: "فقد نفاجاً بأن الحوزة العلمية في النجف أو في قم أو في غيرها لا تمتلك منهاجاً دراسياً للقرآن".^(٢)

الشيعة والقول بخلق القرآن:

لقد عقد المجلسي في بحار الأنوار باباً بعنوان: (باب: أن القرآن مخلوق).^(٣) وساق فيه روايات كثيرة. ويقول: آية الشيعة محسن الأمين: "قالت الشيعة والمعتزلة القرآن مخلوق".^(٤)

ويقول الشيخ الشيعي اللبناني محمد جواد مغنية: "وقال الإمامية: إنه محدث، وليس بقديم، وأن الله خلق الكلام كما خلق سائر الأشياء".^(٥) وقد عبّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على معتقد الشيعة بأنّ القرآن الكريم مخلوق فقال: "إنّ السلف كانوا يسمّون كلّ من نفى الصفات وقال: إنّ القرآن مخلوق، وإنّ الله لا يرى في الآخرة جهماً".^(٦)

١- ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية ص ١١٠.

٢- نفس المصدر ص ١١٠.

٣- بحار الأنوار ٩٢/١١٧-١٢١.

٤- أعيان الشيعة ١/٤٦١.

٥- الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية ص ٣١٥.

٦- مجموع الفتاوى ١٢/١١٩.

رابعاً: الكتب المقدسة عند الشيعة

مادام الشيعة الروافض لا يقدسون القرآن الكريم ولا يعملون بما فيه فمن الطبيعي أن تشير مصادرهم إلى وجود كتب أو صحف مقدسة أخرى، وقد ذكروا خمسة، وهي: صحيفة علي، والجامعة، ومصحف فاطمة، والجفر، وخامسها: الصحيفة السجادية، وهم يرون أن أئمة أهل البيت توارثوا هذه الكتب، وكان يرجعون إليها في بيان العقائد والحلال والحرام، وحوادث المستقبل القريب والبعيد.

عقيدة الشيعة في السنة الشريفة

تعريف السنة عند الشيعة:

يقول في تعريف السنة آية الله العظمى الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي المتوفى سنة ١٣٧٣هـ: "إنهم - أي الشيعة - لا يعتبرون من السنة - أعني الأحاديث النبوية - إلا ما صحَّ لهم من طرق أهل البيت عليهم السلام عن جدهم صلى الله عليه وآله، يعني: ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً".^(١)

ويضيف الغطاء: "أمّا ما يرويه مثل: أبي هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمران بن حطان الخارجي وعمر بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة وأمرهم أشهر من أن يذكر، كيف وقد صرح كثير من علماء السنة بمطاعنهم، ودل على جانفة جروحهم".^(٢)

فالسنة عندهم ليست سنة النبي عليه السلام فحسب؛ بل سنة الأئمة الإثنا عشر، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله، ولهذا اعترفوا بأن هذا ممّا ألحقته

١- أصل الشيعة وأصولها، تحقيق علاء آل جعفر، ط مؤسسة الإمام علي عليه السلام، ص ٢٣٦.

٢- أصل الشيعة وأصولها: علامة الشيعة محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٢٣٦.

الشيعة بالسنة المطهرة، قالوا: "وألحق الشيعة الإمامية كلّ ما يصدر عن أئمتهم الإثنا عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة".^(١)

بل ذهب علامة الشيعة المعاصر محمد باقر الصدر إلى اتهام الصحابة بأنهم أمسكوا عن سؤال النبي عليه السلام، وأمسكوا عن تدوين آثار النبي عليه السلام وسنته، ممّا كان سبباً في ضياعها وتحريفها، وأنّ الذي حافظ على التدوين والتسجيل هم أهل البيت، وزعم بأنّه استفاضت الروايات عن أئمة أهل البيت بأنّ عندهم كتاباً ضخماً مدوناً بإملاء رسول الله عليه السلام وخطّ علي بن أبي طالب جمع فيه جميع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.^(٢)

إنكار الشيعة للسنة النبوية الصحيحة:

إنّ الشيعة يردّون جملةً وتفصيلاً كتب السنة النبوية التي بين أيدي المسلمين فلا يعتبرونها ولا يُقرّونها، وترتّب على ردّهم للسنة النبوية أن يوجدوا بدائل، وهذه البدائل هي أقوال الأئمة المنسوبة لهم كذباً وزوراً، لذلك لا تجد لهم في كتبهم من الأحاديث ما هو مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم إلا نادراً، وبالذات كتب الفقه الشيعي، لا تجد فيها عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمعظم الروايات تسند عن أئمتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومع هذا يردون -أي الشيعة الروافض- أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة المتواترة عنه عند أهل العلم مثل أحاديث البخاري ومسلم، ويرون أن شعر شعراء الرافضة: مثل الحميري، وكوشيار الديلمي، وعمارة اليمني خير من أحاديث البخاري ومسلم، وقد رأينا في كتبهم من الكذب والافتراء على النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وقرابته أكثر ممّا رأينا من الكذب في كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل. وقال ابن تيمية: "ولهذا كانوا أكذب فرق

١- سنة أهل البيت: للشيعة محمد تقي الحكيم ص ٩.

٢- بتصرف من كتابه التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية: محمد باقر الصدر ص ٥٤-

الأمّة، فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب، وتكذيباً للصدق منهم".^(١)

موقف الشيعة من صحيح البخاري ومسلم:

يعدُّ صحيحا البخاري ومسلم من أصح المصادر الحديثية عند المسلمين، بينما الشيعة الروافض تعدهما من الكتب المليئة بالخرافات والأساطير، ويتهمون عليهما بعبارات كلها إسفاف وتبذل. ومن ذلك: قول الشيعي محمد جعفر شمس الدين: "ونحن لو راجعنا هذين الكتابين وغيرهما، لطالعنا بشكل واضح وجلي السخف والافتراء والدس في كثير من المواضع فيهما... ومن الغريب بعد كل ذلك وغيره أن يُصرَّ على تسمية هذه الكتب بالصحيح. وإنَّ العلماء مدعون اليوم إلى تطهير هذه الكتب ممّا فيهما من أكاذيب وموضوعات، تنفّر الإنسان من الدين بتصويرها له دين سخافات وخرافات ومضحكات". وزعم أنَّ كلاً من البخاري ومسلم فيهما من الخرافات والسخافات.^(٢)

وهذا عالم شيعي آخر يتهم الإمام البخاري بترويج الإسرائيليات في أبواب من صحيح البخاري.^(٣)

عقيدة الشيعة في الصحابة رضي الله عنهم

تقوم عقيدة الشيعة الإثنا عشرية على سب وشتم وتكفير الصحابة رضوان الله عليهم. وقد كفّروا جميع أصحاب رسول الله عليه السلام إلا النادر منهم. فهذا عالمهم الكشي يروي عن أبي جعفر أنّه قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة، فقلت ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي،... وذلك قول الله عز وجل: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل،

١- مجموع الفتاوى ٢٨/٤٨١.

٢- دراسات في العقيدة الإسلامية: محمد جعفر شمس الدين ص ١٤٥-١٤٦.

٣- البخاري وصحيحه: الشيخ حسين غيب غلامي الهرساوي ص ٣٧.

أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم".^(١) ويروى أيضاً عن أبي جعفر أيضاً أنه قال: المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - إلا ثلاثة"،^(٢) ويروى عن موسى بن جعفر الإمام المعصوم السابع عندهم أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حوارى محمد بن عبد الله رسول الله الذي لم ينقضوا عليه؟ فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر".^(٣)

ويلخص علامة الشيعة اللبناني محمد جواد مغنية موقف الشيعة من الصحابة فيقول: "وقال الشيعة: إنَّ الصحابة كغيرهم فيهم الطيب والخبيث، والعاقل والفاقد".^(٤) ويقصد بالطيب والعاقل علياً رضي الله عنه ومن شايعه من الصحابة كما يزعمون، بينما الخبيث والفاقد: جمهور الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالخلافة.

لقد كَفَّر الشيعة الإثنا عشرية جميع أصحاب رسول الله عليه السلام إلا النادر منهم، وممن يكفرونهم أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فهما ليسا من الصحابة الثلاثة الذين بقوا مسلمين ولم يرتدوا بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، فقد روي محدث الشيعة الكشي عدة روايات عن أئمة الشيعة تفيد الهراء والإفك المبين: فعن أبي جعفر أنه قال: "كان الناس أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة، فقلت ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي،... وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ويروى عن أبي جعفر أيضاً أنه قال: المهاجرون والأنصار ذهبوا - وأشار بيده - إلا ثلاثة".^(٥) ويروى عن موسى بن جعفر أنه قال: "إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حوارى

١- رجال الكشي ص ١٣، ١٢.

٢- المصدر السابق ص ١٣.

٣- المصدر السابق ص ١٥.

٤- الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية ص ٤٤٠.

٥- رجال الكشي: محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي رقم ١٥، ص ١٣.

محمد بن عبد الله رسول الله الذي لم ينقضوا عليه؟ فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو نر.^(١) وزعم الكليني موت الخليفين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كافرين، ثم قام بلعنهما، وروى كذبا عن أبي جعفر أنه قال: إن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا، ولم يتذكرا ما صنعا بأمر المؤمنين عليه السلام، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.^(٢)

ويزعم مُحدث الشيعة نعمة الله الجزائري بكثرة الروايات الشيعية في تكفير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيقول: "الأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما وثواب لعنهم والبراءة منهم، وما يتضمن بدعهم أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو في مجلدات شتى...".^(٣)

ويزعم محدث الشيعة نعمة الله الجزائري بكثرة الروايات الشيعية في تكفير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيقول: "الأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما وثواب لعنهم والبراءة منهم، وما يتضمن بدعهم أكثر من أن يذكر في هذا المجلد أو في مجلدات شتى...".^(٤)

وتزعم الشيعة أنَّ عثمان رضي الله عنه كان منافقاً يظهر الإسلام ويبطن النفاق. فقد قال المحدث الشيعي نعمة الله الجزائري: "إنَّ عثمان كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله ممن أظهر الإسلام وأبطن النفاق".^(٥) وقال الكركي: "إنَّ من لم يجد في قلبه عداوة لعثمان ولم يستحل عرضه ولم يعتقد كفره فهو عدو لله ورسوله، كافر بما أنزل الله".^(٦)

١- رجال الكشي رقم ٢٠، ص ١٥.

٢- الكافي: الكليني، رقم ٣٤٣، كتاب الروضة، ٢٤٦/٨.

٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي ٣٢٨/٣٢.

٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي ٣٢٨/٣٢.

٥- الأنوار النعمانية: للجزائري ٨١/١.

٦- نفحات اللاهوت: للكركي ٥٧/أ.

ولم يكتف الشيعة بالحكم على عثمان رضي الله عنه بالكفر، بل أوجبوا لعنه والبراءة منه.^(١) ومن يتصفح كتبهم يجد فيها العجب العجائب.

موقف الشيعة من عائشة زوجة النبي رضي الله عنها:

لقد امتلأت كتب الشيعة الروافض بالروايات والأقوال السقيمة التي تنال من إيمان وأخلاق عائشة رضي. ومن الشيعة المعاصرين من يكفر ويلعن عائشة رضي الله عنها، منهم: العراقي عبد الحميد المهاجر، والمصري حسن شحاته الخطيب السابق لمسجد كوبري الجامعة، وصوته مسجل بالصوت والصورة وهو يتحدث بمدينة قم بإيران في ١٥ رمضان ١٤٢٣ هـ، ومنشور على المواقع الشيعية المعتمدة، ويكتبون تضليلاً أمام اسمه: العلامة الأزهرى!! والأزهر الشريف منه براء، واللبناني علي الكوراني العاملي.^(٢)

وتكفير السيدة عائشة رضي الله عنها من مستلزمات دين الشيعة، يقول محمد بن حسين الشيرازي القمي^(٣): "مما يدل على إمامة أئمتنا الإثنا عشر أن عائشة كافرة، مستحقة للنار، وهو مستلزم لحقية مذهبنا، وحقية أئمتنا الإثنا عشر... وكل من قال بإمامة الإثنا عشر قال باستحقاقها اللعن والعذاب".

وزعمت الشيعة الإثنا عشرية أن قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]، مثل ضربه الله لعائشة وحفصة رضي الله عنهما. وقد فسره بعضهم بالخيانة بارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى: قال القمي في تفسير هذه الآية: "والله ما عنى بقوله: (فخانتاهما) إلا الفاحشة. جاء في تفسير القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ

١- المصباح للكمعي ص ٣٧، وعلم اليقين: الكاشاني ٧٦٨/٢، والفصول المهمة للحر العاملي ص ١٧٠، ومفاتيح الجنان: لعباس القمي ص ٢١٢.

٢- لهم تسجيلات بالصوت والصورة تكشف عن أصواتهم المنكرة.

٣- راجع كتابه الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين ص ٦١٥.

كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴿١﴾
 فقال: والله ما عنى بقوله: (فخانتاهما) إلا الفاحشة! وليقيمَنَّ - أي مهديهم المنتظر -
 الحدَّ على عائشة فيما أتت بطريق البصرة، وكان طلحة يحبها! فلما أرادت أن تخرج
 إلى البصرة قال لها طلحة: لا يحلُّ لك أن تخرجي من غير محرم! فزوجت نفسها
 من طلحة!!^(١)

من أقوال أئمة وعلماء المسلمين فيمن يطعن في الصحابة رضي الله عنهم:
 - قول الإمام مالك بن أنس: قال ابن كثير عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ
 اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ
 اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي النَّوْزَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
 الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ يَعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ
 بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] قال: "ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في
 رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم
 يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة
 من العلماء رضي الله عنهم على ذلك".^(٢)

وقال القرطبي: "لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله فمن نقص
 واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع
 المسلمين".^(٣)

- قول الإمام أحمد بن حنبل: سئل رحمه عن يشتم الصحابة فقال: "أخشى عليه
 الكفر". ثم قال: "من شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نأمن قد مرق من
 الدين". وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي عن رجل شتم رجلاً من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما أراه على الإسلام"، وأفتى رحمه الله تعالى بعدم

١- تفسير القمي ٣٧٧/٢.

٢- تفسير ابن كثير ٢١٩/٤.

٣- تفسير القرطبي ٢٩٧/١٦.

جواز رد السلام على الرافضي، أو الرد عليه إذا سلم. وعدم جواز الصلاة عليه إذا مات".^(١)

وقال الإمام أحمد: وليست الرافضة من الإسلام في شيء. ^(٢) أقول: هذا تصريح من الإمام أحمد رحمه الله في تكفير الرافضة.

– قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تُسقط الأعمال المشروعة، فلا خلاف في كفرهم، ومن زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، بل من يشك في كفر مثل هذا، فإن كفره متعين".^(٣)

عقيدة الإمامة عند الشيعة الإثنا عشرية:

إنَّ الإمامة عند الشيعة تختلف عن الإمامة في الدين عند أهل السنة والجماعة، فالإمام عند الشيعة له من الخصائص كما للنبي عليه السلام بل زيادة!، يقرر ذلك محمد حسين آل كاشف الغطاء فيقول: "إنَّ الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أنَّ الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيِّد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه.. فكَذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيّه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده".^(٤) والإمامة عند الشيعة أحد أركان الإسلام الخمسة، فهم يعتقدون كما جاء في أصول الكافي عن أبي جعفر أنه قال: "بني الإسلام على خمس، على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه -يعني الولاية-".^(٥) وعن محمد

١- السنة للخلال ٤٩٤/١، ٥٥٧/٢ - ٥٥٨.

٢- كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل ص ٨٢.

٣- الصارم المسلول على شاتم الرسول ٥٨٦/١.

٤- أصل الشيعة وأصولها ص ٨٥.

٥- أصول الكافي ١٨/٢، الشافي شرح الكافي تصحيح لهذا الحديث ٢٨/٥.

الباقر: "بني الإسلام على خمس: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة، ولم يجعل في الولاية رخصة".^(١)

ولقد كَفَّر الشيعة منكر الإمامة: فنسبوا زوراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "التاركون ولاية علي خارجون عن الإسلام".^(٢) وإلى الصادق قوله: "الجاحد لولاية علي كعابد وثن".^(٣)

وجعلت الشيعة مدار قبول الأعمال من العباد على الإيمان بالإمامة، فنسبوا إلى الصادق قوله: "إِنَّ أَوَّلَ ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله جل جلاله عن الصلوات المفروضة، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي جل جلاله لم يقبل الله منه شيئاً من أعماله".^(٤)

وحكى شيخهم المفيد إجماع الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار".^(٥) والروايات في الباب كثيرة، حتى عقد بعضهم أبواباً خاصة في بيان هذه المسألة، كباب: "أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية".^(٦) و"باب كفر المخالفين والنصاب".^(٧)

١- الخصال ص ٢٧٨. بحار الأنوار ٣٧٦/٦٨. الوسائل ٢٣/١ وانظر أيضاً: الكافي ٢٢/٢. بحار الأنوار ٣٣٢/٦٨.

٢- المحاسن ص ٨٩. بحار الأنوار ٢٣٨/٢٧، ٣٠٢/٣٩، ١٣٤/٧٢.

٣- البصائر ص ١٠٥. بحار الأنوار ١٢٣/٢٤، ١٨١/٢٧، ٣٩٠/٥٤.

٤- أمالي الصدوق ص ١٥٤، بحار الأنوار ٥١/٢٤، ١٦٧/٢٧، ٣٩٠/٥٤، عيون الأخبار ص ٢٧٠.

٥- بحار الأنوار ٣٦٦/٨، ٣٩٠/٢٣.

٦- بحار الأنوار ١٦٦/٢٧ - ٢٠٢، وفيه ٧١ رواية.

٧- بحار الأنوار ١٣١/٧٢ - ١٥٦.

عقيدة التقية عند الشيعة:

التقية عند الشيعة هي التظاهر بعكس الحقيقة، وهي تبيح للشيعة خداع غيره فبناء على هذه التقية ينكر الشيعة ظاهراً ما يعتقدون باطناً، وتبيح له أن يتظاهر باعتقاد ما ينكره باطناً، ولذلك تجد الشيعة ينكرون كثيراً من معتقداتهم أمام أهل السنة مثل القول بتحريف القرآن وسب الصحابة وتكفير وقذف المسلمين وإلى غير ذلك من المعتقدات التي سنبينها في هذا الكتاب بإذن الله.

مكانة التقية في دين الشيعة:

يقول شيخهم المفيد التقية عند الشيعة بقوله: "التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا"^(١) يقول شيخهم ورئيس محدثهم محمد بن علي بن الحسين الملقب بالصدوق: "واعتقادنا في التقية أنها واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة.. والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم فمن تركها قبل خروجه فقد خرج من دين الله وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة". يقول شيخهم محمد رضا المظفر في كتابه الدعائي (عقائد الإمامية): فصل عقيدتنا في التقية: وروي عن صادق آل البيت في الأثر الصحيح: "التقية ديني، ودين آبائي ومن لا تقية له لا دين له". قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "وأما الشيعة الاثنا عشرية فأصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد وتعمد، الكذب كثير فيهم، وهم يقولون بذلك حيث يقولون: ديننا التقية؛ وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه وهذا هو الكذب والنفاق فهم في ذلك كما قيل: رمتي بدائها وانسلت".

١- شرح عقائد الصدوق: ص ٢٦١، ملحق بكتاب أوائل المقالات.

المطلب الثاني المستقبل للإسلام

تمهيد:

يقول شبنجلر في كتابه "سقوط الحضارة": "إن للحضارة دورات فلكية، تغرب هنا، لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام، الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية".^(١)

ويقول المستشرق الأمريكي "سارتون": ليس ثمة ما يمنع أن تقود شعوب العالم الإسلامي العالم مرة أخرى في المستقبل القريب أو البعيد، كما قادت في العصور الوسطى.^(٢)

وفي كتاب "موت الغرب" للمفكر الأمريكي "باتريك جيه. بوكانن" يؤكد انهيار أوروبا وأمريكا، وإسرائيل، وصعود الإسلام.

تلك هي أقوال عقلاء الغرب الذين وضعوا أيديهم على العلاج الشافي والدواء الناجح للبشرية وأدوائها، إنهم ينادون العالم الإسلامي كي يتقدم حاملاً معه الشريعة الربانية التي تنقذ البشرية مما هي فيه، وتجريها إلى السعادة والطمأنينة. وهي أقوال نقدمها لمن سرى في نفوسهم اليأس القاتل عن مستقبل الإسلام، والذين صاروا حين يسمعون الحديث عن هذا المستقبل تغتر ثغورهم عن ابتسامات صفراء أقرب إلى السخرية.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

١- الإسلام ومستقبل البشرية ص ٣٨-٣٩.

٢- انظر الفكر الإسلامي بين الأصالة والتجديد: د. محمد عبد المنعم خفاجي ص ٨٤.

وأما المسلمون الصادقون فإن إيمانهم بالمستقبل لهذا الدين، فقد استقوه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ففيهما عشرات النصوص التي تقول: إن الإسلام قادم، وهو المنتصر دائماً وأبداً: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، [الصف: ٩].

المبشرات بانتصار الإسلام:

نذكر هنا بعض المبشرات النصية في الكتاب والسنة والفطرة، ثم نعرض لبعض المبشرات الواقعية في واقع الحياة:

المبشرات النصية في الكتاب والسنة: (١)

أولاً: المبشرات القرآنية:

أ- مبشرات غلبة الدين وظهوره على ما عداه من الأديان والمذاهب والأفكار والنحل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

إنَّ وعد الله تعالى بنصرة الإسلام قد تحقق زمن رسوله صلى الله عليه وسلم وزمن خلفائه، ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان، وكان هو الأظهر والأغلب. وسوف يتحقق لأنه وعد الله القائم وفق سننه التي لا تتبدل ولا تتحول، وما على المسلمين الصادقين إلا أن ينهضوا لحمل راية الدين والمضي بها اقتداءً بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، واقتفاءً لخطواته المباركة.

ب- مبشرات وعده تعالى بالنصر للمسلمين وبالتمكين لدينهم.. ومن ذلك قوله

– قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

١- هذا المبحث أكثره مستفاد من: الإسلام ومستقبل البشرية د. عبد الله عزام ص ٤٠-٦٠، البشائر

بنصرة: الإسلام محمد بن عبد الله الدويش ص ١٣-٢٧.

خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥]. إِنَّ وعد الله تعالى لعباده بالاستخلاف في الأرض سيتحقق، فهو لا يخلف الميعاد، ووعدته لدينه بالظهور والغلبة ومن ثم التمكين في الأرض، هو من الحقائق الكبرى المستقرة في قلب كل مؤمن.

ج- الإخبار بضعف كيد الكفار وضلال سعيهم في النيل من الإسلام، وفشل كيدهم في الصد عنه والتآمر عليه. ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويًا﴾ [الطَّارِق: ١٥-١٧]. إِنَّ الآيات الكريمة فيها تثبيت للمؤمنين وتطمين لهم، كما أن فيها تهوين من أمر ما يصنع الكفار من حرب للإسلام والمسلمين، ونهاية المعركة محسومة لهذا الدين، لأن الله تعالى لا يقوى أحد على مواجهته، أو النيل من دينه.

ثانياً: المبشرات النبوية:

١- المبشرات العامة بنصر الإسلام وإذلال الكافرين:

- روى أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بشر هذه الأمة بالسَّناء والنصر والتمكين".^(١)

- روى تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بغز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر".^(٢)

١- رواه أحمد في المسند ١٣٤/٥، وابن حبان في صحيحه رقم ٢٥٠١، والحاكم ٣١١/٤، وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي، وأقره المنذري.

٢- رواه أحمد ١٠٣/٤، والحاكم ٤٣٠/٤ بمعناه وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني في المجمع ١٤/٦ وقال رجاله رجال الصحيح، وابن حبان في صحيحه رقم ١٦٣١، ١٦٣٢، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧/١.

٢ - المبشرات بقيام الخلافة الراشدة في فلسطين:

- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ". (١)

- وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس أبي حوالة الأزدي، وقال: "يا بن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل، والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك". (٢)

٣ - المبشرات بقتال اليهود وانتصار المسلمين عليهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود". (٣)

وبخصوص هذا الحديث أذكر أن باحثين أمريكيين زاراني في بيتي، طالبين فهم الحديث في ضوء الواقع المعاصر، ولقد أخبراني بأن اليهود يؤمنون بصحة مضمون الحديث، وهم يعملون جادين على تأخير هذا اليوم، ويزرعون شجر الغرقد استعداداً لذلك.

١- رواه أحمد ٢٧٣/٤، وأبو داود الطيالسي رقم ٤٣٨، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٨/٦، رجاله ثقات، وصححه العراقي بقوله: هذا حديث صحيح، وأخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨-١/٩.

٢- رواه أحمد بسنده (٢٨٨/٥)، وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع ٧٨٣٨.

٣- رواه البخاري (٢٩٢٦)، ٧٥/٦ في الجهاد، باب قتال اليهود، ومسلم (٢٩٢٢) في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

وليعلم أبناء الإسلام أن الاستعلاء اليهودي اليوم هو استعلاء مؤقت، وتمكين الله تعالى اليهود في الأرض لن يدوم، إن وعد الله تعالى سيتحقق، وأن المعركة الفاصلة التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المسلمين واليهود ستنتهي الفترة الاستثنائية التي مكن فيها اليهود ﴿يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وسيعود اليهود إلى وضعهم الطبيعي الذي كتبه الله تعالى عليهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

٤ - **المبشرات بوجود الطائفة المنصورة في الشام عامة، وفي فلسطين خاصة:**

هناك أحاديث كثيرة صحيحة في فضائل الشام، وهي تبين أن هذه الأرض المباركة سيكون لها دور في تاريخ البشرية وقيادتها، وأنها ستكون الحصن الحصين الذي يأوي إليه المسلمون عند اشتداد المحنة ونزول الفتنة. ومن ذلك:-

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة".^(١)

- وعن جبير بن نفير أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ثم إني سئمت الخيل وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلت: لا قتال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".^(٢)

- عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة: جند بالشام، وجند بالعراق، فقلت خِرْ

١- رواه أبو يعلى، قال الهيثمي رجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد ٦٣/٣٠، ٦٤.

٢- رواه أحمد في المسند ١٠٤/٤، ورواه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٩١٦، وقال إسناد شامي حسن، رجاله كله موثقون.

لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: عليك بالشام، فإنّها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدركم، فإنّ الله توكل لي بالشام وأهله".^(١)

— ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بيننا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعُمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام".^(٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — بعد أن ذكر أحاديث فضل الشام وبيت المقدس—: "وقد دلّ الكتاب والسنة وما روى عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام، مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين إنّ الخلق والأمر ابتدأ من مكة أم القرى، فهي أمّ الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهى جعلها الله قياما للناس إليها، يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله، من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلّت الدلائل المذكورة على أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها فالى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، وكما أنّه في آخر الزمان يعود الأمر إلى لشام، كما أسرى بالنبي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فخير أهل الأرض في آخر الزمان ألزمهم مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو بالشام".^(٣)

١- رواه أبو داود رقم ٢٤٨٣، في الجهاد، باب في سكنى الشام، وإسناده صحيح.

٢- رواه أحمد في المسند ١٩٨/٥-١٩٩، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٢/٧، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي وهو ثقة، وقال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح.

٣- مجموع الفتاوى ٤/٤٤٥-٤٤٦.

٥ - المبشرات بفتح روما عاصمة الكاثوليكية:

- عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب، إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً أفسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مدينة هرقل تفتح أولاً. يعني قسطنطينية".^(١) ومن المعلوم أن القسطنطينية فتحت عام ٨٥٧ هـ على يد القائد المسلم محمد الفاتح، وستفتح روما -قريباً بإذن الله- عاصمة إيطاليا، وعاصمة النصرانية الكاثوليكية.

٦ - المبشرات بموافقة الدين للفطرة البشرية، ولنسن الله تعالى في الكون:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٠]. لقد ربطت الآية الكريمة بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، فكلاهما من صنع الله تعالى، وكلاهما موافق لنسن الله تعالى في هذا الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه، والفطرة ثابتة، والدين ثابت، وإذا انحرفت النفوس البشرية عن الفطرة، فلا يرُدُّها إلا هذا الدين المتناسق معها، فطرة البشر وفطرة الوجود. والدين هو أنزل ليحكم الإنسان ويصرفه إلى الحق، ويقوّمه من الانحراف ولا سعادة للبشرية إلا إذا عادت فطرتها لتتناسق مع الدين الحق.^(٢)

إنَّ المستقبل لهذا الدين لأنه منهج حياة للبشرية، يشتمل على كل المقومات المنظمة لشتى جوانب الحياة البشرية، ولقد كافح الإسلام - وهو أعزل - لأن عنصر القوة كامن في طبيعته، وكامن في بساطته ووضوحه وشموله، وملائمته للفطرة البشرية، وتلبيته لحاجاتها الحقيقية، وأعداؤه يحاربونه لأجل ذلك، ولأنه يقف عائقاً

١- رواه أحمد في المسند ١٦٧/٢، والدارمي في سننه ١٢٦/١، وابن أبي شيبة في المصنف ٤٧،

٢/١٥٣، وعبد الغني المقدسي في كتاب العلم ٢، ١/٣٠ وقال: حديث حسن الإسناد.

٢- انظر في ظلال القرآن: سيد قطب ٥/٢٧٦٧.

أمامهم عن تحقيق أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية، ولكن، الذي لا شك فيه أنه سينتصر كما انتصر في السابق، وسيكون المستقبل لهذا الدين.^(١)

فمن طبيعة المنهج الذي يرسمه الإسلام، ومن حاجة البشرية إلى هذا المنهج نستمد نحن المسلمين يقيننا الذي لا يتزعزع في أن المستقبل للإسلام، وأنَّ له دوراً كبيراً في هذه الأرض، دوراً في قيادة البشرية، خاصة بعد أن أثبت الواقع البشري إفلاس كل النظم والمذاهب في مناهجها وتشريعاتها وعقائدها، إن الإسلام مدعو لأداء دوره في المستقبل القريب، أراد أعداؤه أم لم يريدوا.^(٢)

٧- المبشرات الواقعية:

يقول الشهيد سيد قطب في كتابه (المستقبل لهذا الدين): "لقد صمد الإسلام في حياته المديدة، لما هو أعنف وأقسى من هذه الضربات الوحشية، التي توجه اليوم إلى طلائع البعث الإسلامي في كل مكان. وكافح -وهو مجرد من كل قوة غير قوته الذاتية- وانتصر، وبقي، وأبقى على شخصية الجماعات والأوطان، التي كان يحميها، وهو مجرد من السلاح!

إنَّ الإسلام هو الذي حمى الوطن الإسلامي في الشرق من هجمات التتار؛ كما حماه من هجمات الصليبيين على السواء.. ولو انتصر الصليبيون في الشرق كما انتصروا في الأندلس قديماً، أو كما انتصر اليهود الصهاينة في فلسطين حديثاً، ما بقيت قومية عربية، ولا جنس عربي، ولا وطن عربي.. والأندلس قديماً وفلسطين حديثاً كلاهما شاهد على أنه حين يطرد الإسلام من أرض، فإنه لا تبقى فيها لغة ولا قومية، بعد اقتلاع الجذر الأصيل! والممالك الذين حموا هذه البقعة من التتار، لم يكونوا من جنس العرب إنما كانوا من جنس التتار! ولكنهم صمدوا في وجه بني جنسهم المهاجمين، حمية للإسلام، لأنهم كانوا مسلمين! صمدوا بإيحاء من العقيدة

١- انظر المستقبل لهذا الدين ص ٥.

٢- المصدر السابق ٩٢-٩٣.

الإسلامية، وبقيادة روحية إسلامية من الإمام المسلم ابن تيمية الذي قاد التعبئة الروحية، وقاتل في مقدمة الصفوف!

ولقد حمى صلاح الدين هذه البقعة من اندثار العروبة منها، والعرب، واللغة العربية، وهو كردي لا عربي، ولكنه حفظ لها عروبتهما ولغتها حين حفظ لها إسلامها من غارة الصليبيين. وكان الإسلام في ضميره هو الذين كافح الصليبيين، كما كان الإسلام في ضمير الظاهر ببيرس، والمظفر قطز، والملك الناصر هو الذي كافح التتار المغول!

والإسلام هو الذي كافح في الجزائر مئة وخمسين عاماً، وهو الذي استبقى أرومة العروبة فيها. حتى بعد أن تحطمت مقوماتها الممثلة في اللغة والثقافة، حينما اعتبرت فرنسا اللغة العربية - في الجزائر - لغة أجنبية محظوراً تعليمها! هنالك قام الإسلام - وحده - في الضمير، يكافح الغزاة، ويستعلي عليهم، ولا يحنى رأسه لهم لأنهم أعداؤه الصليبيون! وبهذا - وحده - بقيت روح المقاومة في الجزائر، حتى أزكتها من جديد الحركة الإسلامية التي قام بها عبد الحميد بن باديس، فأضاءت شعلتها من جديد، وهذه الحقيقة التي حاول أن يطمسها المغفلون والمضلّلون، يعرفها الفرنسيون والصليبيون جيداً لأنهم صليبيون! إنهم على يقين أن الإسلام باستعلاء روحه على أعدائه، هو الذي يقف في طريقهم. ومن ثم يعلنونها حرباً على المسلمين، لا على العرب!

والإسلام هو الذي كافح في برقة وطرابلس ضد الغزو الطلياني.. وفي أربطة السنوسية وزواياها نمت بذرة المقاومة، ومنها انبثق جهاد عمر المختار الباسل النبيل، وأول انتفاضة في مراكش، كانت منبثقة من الروح الإسلامي. وكان الظهير البربري الذي سنه الفرنسيون سنة ١٩٣١م وأرادوا به رد قبائل البربر هناك إلى الوثنية، وفصلهم عن الشريعة الإسلامية.. هو الشرارة التي ألهمت كفاح مراكش ضد الفرنسيين.

لقد كافح الإسلام وهو أعزل لأنَّ عنصر القوة: كامن في طبيعته، كامن في بساطته ووضوحه وشموله، وملاءمته للفطرة البشرية، وتلبيته لحاجاتها الحقيقية. كامن في الاستعلاء عن العبودية للعباد بالعبودية لله رب العباد؛ وفي رفض التلقي إلا منه، ورفض الخضوع إلا له من دون العالمين، وكامن كذلك في الاستعلاء بأهله على الملابس العارضة كالوقوف تحت سلطان المتسلطين، فهذا السلطان يظل خارج نطاق الضمير مهما اشتدت وطأته، ومن ثم لا تقع الهزيمة الروحية طالما عمر الإسلام القلب والضمير، وإن وقعت الهزيمة الظاهرية في بعض الأحيان، ومن أجل هذه الخصائص في الإسلام يحاربه أعداؤه هذه الحرب المنكرة؛ لأنَّه يقف لهم في الطريق، يعوقهم عن أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية، كما يعوقهم عن الطغيان والتأله في الأرض كما يريدون! (١).

١- المستقبل لهذا الدين ص ٥، ٩٢-٩٤.